إلى السيدة راء

رسائل لذَّةِ البدايات

اســـــم الكتـــــاب: إلى الســـــــــــــيدة راء
رســـــائل لـــــدَّةِ البـــــدايات

التـأليـــــــــــف: عـــــلاء أبـــــو شـــــحاتة

إخـــــراج فـــــني: ســـــالم عبـــــدالمعز ســـــواح

رقـــــم الإيـــــداع: 2026/ 16774

التـــــرقيم الـــــدولي: 978-977-835-557-4

الناشـــــــــــــر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي نادي الشمس مصر الجديدة - مصر.

دار زحمة كتاب للنشر Facebook

za7ma.kotab@gmail.com Email

002 01205100596
002 01100662595 Tel

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

إلى السيدة راء

الجزء الأول

رسائل لذَّةِ البدايات

علاء أبو شحاتة

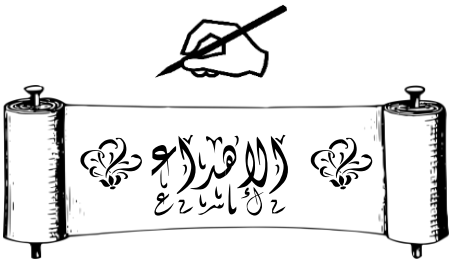

إلى زَوْجَتِي ورِفْقَةِ دَرْبِي وحَيَاتِي، إلى السَّيِّدةِ راءٍ، مُلْهِمَتِي وسُلْطَانَةَ قَلْبِي وحَيَاتِي وسِتَّ النِّسَاءِ، ها أنا حَبِيبَتِي ما زلتُ أكتبُ فِيكِ ولكَ، وأنْشُرُ عَنْكِ، بلا مللٍ ولا كللٍ، بلا شِبَعٍ، بلا ارْتِواءٍ، تَعَالَي غَالِيتِي نَتَظَاهَرْ أنَّ المَسَافَاتِ التِّي بَيْنَنَا انْكَمَشَتْ، وأصْبَحَتْ تُقَاسُ بأَطْرَافِ أصابِعِنَا، وأنَّ مَدِينَتِي ذَابَتْ على حُدُودِ مَدِينَتِكِ، تَعَالَي، ولتُمدِّي يَدَكِ لِتَأْخُذْنِي إلَيكِ.

تَبْقَيْنَ ما بَقِي الزَّمَانُ حَبِيبَتِي، تَبْقَيْنَ أنتِ، - وإنْ حِيلَ بَيْنِي وبَيْنَكِ - مَلاذِي وفَرْحَتِي ووطنًا لا يَخُونُ..

مقدمةٌ لا بدَّ منها

القرّاءَ الأعزّاءَ، ها هو إصدارٌ آخرُ لي ضِمنَ فنّ أدبِ المراسلاتِ، هذا الأدبُ الذي يكشفُ عن جوانبَ خفيّةٍ من شخصياتِ الأدباءِ، ويوثّقُ لحظاتٍ من حياتهم لا يعرفها القرّاءُ.

ها أنا أخطُّ كتابًا آخرَبعنوانِ " إلى السَّيّدة راءٍ " تَطَّوَفُ أحرفُه وكلماتُه في هَيْئةِ أربعةِ كُتبٍ تبدأُ برسائلَ لذَّةِ البداياتِ، ثُمَّ رسائلَ الحنينِ والاشتياقِ، ثُمَ رسائلَ الشَّكِّ واليَقِينِ، ثُمَّ أخْتِمُها برسائلَ المسافاتِ والفراقِ.

وقبلَ أن أدَعَكُم مع أوَّلِ كُتِبِ هذه السِّلسِةِ من " إلى السَّيّدة راءٍ " كان لزامًا أنْ أشْكُرَ السَّادَةَ الأدباءَ والنُّقَادَ، والسَّيّدَاتِ، الذين ساهموا تَعلِيقًا ونقدًا ومُشَاركَةً حَتَّى ظَهَرَهذا العملُ بهذه الصُّورَةِ.

- الشَّاعِرُوالإعلاميّ المِصرِيّ / السَّيدُ حَسَنٌ.
- الشَّاعِرُوالأديبُ والنَّاقِدُ السُّوريُّ / أَكْرَمُ وَحِيدٌ الزَّرْقَانُ.

- الأدِيبَةُ والشاعرة السُّورِيَّةُ / مَيَّادَةُ عَجُّورٌ.
- الكَاتِبةُ والرّوِ ائِيَّةُ القَطَرِيَّةُ / روضةٌ مباركٌ العامريّ .
- الشَّاعِرَةُ العِر اقِيّةُ / بنين فراسٌ .
- الصَّحَفيّةُ والكَاتبةُ السُّوريَّةُ / د - نِبْراس إبراهيم .

قال رسول الله ﷺ : " مَن لا يشكرُ النَّاسَ لا يَشْكرُ اللهَ " .

الكَاتِبةُ والرِّوائِيّة

علاء أبو شحادة.

المُوقّعُ أدنَاه

أنا المُوقّعُ أدناه، حبّكِ طوقُ سعادةٍ ونجاةٍ، و أنا في عشقكِ وهواكِ طيرٌ تحرّرَ من آلامه وحَلّق بكِ في عشقه وسماه، أنا المُوقّعُ أدناه، أسيرُكِ وحبيبُكِ وروحي التي تعلّقت بكِ يا حلمًا عاش يرنو أن يبلغ يومًا منتهاه، أنا المُوقّعُ أدناه، عاشقُ هواكِ، ناسجٌ معك أحلامَ غدنا، وكلَّ غدِنا، قد عاش بنورِكِ يا نوَّارةَ عمري ومبتغاه، أحببتُكِ، وأحبُّك وأظلُّ طوالَ عمري أعيشُ بشمسِ هواكِ ودفئِها وصدقِها يا شوقَ عمري وقمري وحروفَ كلامي ومحتواه .

أنا المُوقّعُ أدناه .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، إلى الموقّعِ أدناه، وإلى الأبدِ في قلبي أعلاه، قرأتُ كلامكَ فإذا بروحي تردُّ عليكَ قبل لساني، أنتَ الذي حبُّكَ طوقُ نجاتي، وبدونكَ كنتُ أغرقُ في بحرٍ من الوحدةِ والتّعبِ والمأساةِ، أنا معكَ لستُ فقطْ حبيبتِكَ، أنا سكنُكَ وبيتُكَ وملاذُكَ ولقلبكَ دارُه ومبتغاه ، أنتَ الطَّائرُ

الذي تحرَّرَوحلّقَ في سماءِ عشقي، فكنتُ له السَّماءَ التي لم ولن تضيقَ عليه، والهواءَ الذي تحيا به في كلِّ يومٍ، أنا أسيرتُكَ، حبيبتُكَ، روحُكَ التّي تتنفَّسُ بكَ حياتَها، يا حُلمي الذي عشتُ أحلمُ به إلى أن صارَحقيقةً ورؤيةَ عيْنٍ وحياةً ، يا مُنتهى كلِّ أمنيةٍ في قلبي، أنا عاشقةُ هواكَ، يا مَن نسجتُ بكَ ومعكَ حُلمَ غدٍ وكلَّ غدٍ، وغدي أحلى معكَ والذي أناربنورك حبيبي، يا حُلمَ عمري وكلَّ ما أتمنَّاه، أحببتُكَ وأحبُّكَ وسأظلُّ أحبُّكَ وأعيشُ و أنعمُ بشمسِ هواكَ و دفئِها، وصدقِها، وشوقِها الذي يقويني ويحتوي، أنتَ شوقُ عمري وقمري وحروفُ كلامي وكلُّ معاني الخيرِ والجمالِ بحياتي، أنا الموقّعةُ أعلاه، أحبُّكَ أكثرَمن كلِّ ما مضى، وأكثرَ وأكثرَمن كلِّ قادمٍ يا عِوضَ السَّماءِ أنا، أحبُّكَ يا أنا .

أيّتُها الرّقيقةُ الغاليةُ .

أيَّتُها الرَّقيقةُ الغاليةُ، أنتِ وحدَك كُلُّ جيشي، وعَينَاكِ ؛ عَينَاكِ فتنةٌ وإلهامٌ ووطنٌ وحياةٌ، وضحكتُكِ ترنيمةٌ وربيعٌ ونجاةٌ . أحببتُكِ في منتصفِ أيامي السَّيئةِ، وفي ازدحامِ أفكارِي، وبين جميعِ أفكاري كنتِ أنتِ الفكرةَ الوحيدةَ التي أتمسَّكُ بطرفِكِ في طريقي نحو الفجرِ والحرّيةِ، ثُمّ ماذا؟ أنتِ في حفظِ اللهِ ثُمَّ في حفظِ قلبي أنا، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، إن كنتَ أنت جيشي الوحيدَ، فأنا سيفُك الذي لا ينكسرُ، وعيناكَ ليست فتنةً فقطْ ... بل ملاذي حين يضيقُ بيَ العالمُ، ونجاتي حين تغرقُ أفكاري، أحببتني في منتصفِ أيامكَ السَّيئةِ؟ وأنا وجدتُك في منتصفِ قلبي، حيثُ لا يسكنُ أحدٌ غيركَ، فكنتَ الفكرةَ الوحيدةَ التي أستيقظُ عليها، والفجرَ الذي أمشي إليه، والحرّيةَ التي لا أريدُ بعدها قيدًا، فاطمئن، أنتَ في حفظِ اللهِ أولاً، ثُم في حفظِ قلبي إلى

الأبدِ، لا يَمَسُّك تعبٌ و أنا أتنفَّسُ، ولا يَمسُّكَ حزنٌ و أنا أحبُّكَ، أنا بكَ، ولكَ، ومعكَ، وأحبُّكَ سيِّدي، لأنَّك صرتَ أنا .

حبيبَ قلبي ونبضَ روحي وجنَّتي .

قراءةٌ في " أيّتُها الرّقيقةُ الغاليةُ ".

تنسابُ كلماتُ الأديبِ العاشقِ كدفقٍ من الوجدانِ العذبِ ونورِ العاطفةِ الصَّادقةِ، لترسمَ بألقِها السَّاحرِ معاني الوفاءِ الخالدِ في زمنِ الازدحامِ والشَّتَاتِ، فجاءَ نصُّ " أيَّتُها الرَّقيقةُ الغاليةُ " برصانةِ حبرِه وعزَّةِ نفسِه كمرآةٍ تعكسُ كيف يغدو الحبيبُ وطنًا ونجاةً وملجأً فريدًا في منتصفِ الأيام السَّيئةِ ؟، مُبرزًا بنبلِ الحرفَ وجزالةَ التَّعبيرِ أنَّ الحبَّ الحقيقيَّ هو الفكرةُ المُضيئةُ والوحيدةُ التِّي يَتَمَسَّكُ بها المرءُ في طريقه نحو الفجرِ والحُرِّيَّةِ، لتظلَ تلكَ المشاعرُ حصنًا مصونًا في حفظِ اللهِ ثُمَّ في عمقِ الفؤادِ، حفظكَ المولى العلَّي القديرُ، وأعزَّ قدركَ الشَّامخَ، وكسى قلبكَ ثوبَ الرِّفعةِ والمهابةَ وجبرَ الخواطرِ.

أنتِ الأمانُ وفجرُروحي والمُنى .

يا جيشَ عزِّي في الزَّمانِ المُظْلِمِ .

عَينَاكِ لي وطنٌ تلوذُ بهِ الرؤى .

وضياءُ ضحكتِكِ الرَّبيعُ بعَالَمِي .

صُنْتُ الودادَ بعزّ نفسٍ لم تزلْ .

تحيا بحبّكِ في الفضاءِ الأرْحَمِ .

الشاعر والأديب والناقد السوريُّ

أكرم وحيد الزرقان .

قمرُ الزّمانِ .

قمرُ الزَّمانِ الذي جادتْ به الدُّنيا من بعدِ عطشٍ وحرمانٍ، رقيقةٌ أنتِ حبيبتي وعذبةٌ كهمسٍ حالمٍ يُحي موتَ قلبٍ عاد بكِ لحياته عندما آن من اللهِ الأوانُ، كنتُ أستغربُ قولَ أحدهم " : وأحبُّها وتحبُّني ويحبُّ ناقتَها بعيري " حتى وقعتُ في حبّكِ ونال منّي هواكِ فتمكَّنَ، حتى عشقتُكِ وأحببتُ كلَّ ما ينتسبُ إليكِ ولو من بعيدٍ، أحببتُ أمَّكِ التي أنجبتكِ، و أباكِ الذي كان سببًا في وجودِكِ بالحياة، أحببتُ نوعَ الوردِ الذي تحبين، والألوانَ التي تفضلين، أحببتُ الطَّريقَ التي تسيرين فيها كلَّ صباحٍ، وإن كنتُ أغارُ منها، فهي تراكِ و أنا لا أراكِ، أحببتُ حتى كلبَكِ رغمَ أنّي لا أقتني الكلابَ، أحببتُ مدرستَكِ وما فيها من ضجيجٍ وصياحٍ، أحببتُ صوتَكِ حين أوقظكِ صباحًا و أنا أنعمُ بأن أكونُ أولَ مَن يسمعه مع إشراقةِ يومٍ جديدٍ، صوتُك الحالمُ الذي بسماعِه يعتدلُ مزاجي و أتفاءلُ بيومٍ سعيدٍ، أحببتُ هدوءِك وحنانَ قلبكِ، أحببتُ عصبيتَكِ وجنونَكِ الذي يحملُ في طيَّاته حبًّا عظيمًا لي وخوفًا

وغيرةً ولهفةً وانتظارًا، أحببتُكِ كما أنتِ رغمَ التّناقضاتِ الظّاهرةِ للعيانِ، والتي تلاشت مع أوجهِ الاتّفاقِ والتّشابهِ لدرجةِ التّطابقِ بصورةٍ لا متناهيةٍ تثيرُ الحيْرَى والجنونَ، أحببتُكِ كما تعلّقَ آدامُ بحواءَ، فلا حياةَ له بدونها، غير أنّكِ اختياري من بين ملايين بناتِ حواءَ، والتي استغنيتُ بكِ عن العالمِ بأسره، فلا يعنني منه غيرَقلبكِ أنتِ ووجودكِ أنتِ، فما معنى الغدِ إن لم تكوني أنتِ فيه؟ وما معنى الحبِّ إن لم تُكتبُ كلماتُه عنك؟ وما قيمةُ حياتي إن لم تكوني أنتِ فيها؟ أحبُّكِ ولا أعرفُ غيرَ أنّي أحبُّكِ، ولا يعنيني غيرَكِ أنتِ، فبوجودكِ ماتت في عيني كلُّ النِّساءِ.

أجابت حبيبتي.

أيَا عزيزَعَيْنِي، كلماتُكَ جعلت قلبي يرتجفُ فرحًا، فأنتَ لم تحبُّني فقطْ، بل أحببتَ كلَّ شيءٍ حولي، أحببتَ أمّي وأبي والوردَ والطَّريقَ والصَّباحَ وصوتي، حتى غضبي وجنوني! هذا هو الحبُّ الحقيقيّ الذي لا يرى العيوبَ، بل يرى الرُّوحَ، أنا أيضًا أراكَ كلَّ عالمي، ولا أرى غيرَكَ منذُ أن

دخلتَ حياتي، فأنتَ اختياري من بين كلِّ النَّاسِ، و أنتَ المعنى الوحيدُ الذي يجعلُ لأيامي طعمًا، فبدونِكَ لا معنى للغدِ ولا معنى للحبِّ ولا معنى للحياةِ نفسِها، أحببتُكَ بكلِّ تناقضاتِك، بهدوئكَ وعصبيتكَ، لأنَّ كلَّ جزءٍ فيك يشبهني، أنتَ آدمي، و أنا حواؤك، ولن أكونَ لغيرِكَ أبدًا ما حييتُ، بوجودِكَ ماتت في قلبي كلُّ الرَّغباتِ إلَّا أن أكونَ معكَ، ومعك فقطْ، مع كلِّ الحبِّ والشَّوقِ .

زوجتُك المخلصةُ لكَ دائمًا، أحبُّكَ .

طَاغِيةُ الأُنُوثَةِ .

وكعادته يمرُّ بنا قطارُ العمرِ عبرَ محطاتِ الحياةِ حيثُ ملايين البشرِ وآلافِ الأماكنِ والذّكرياتِ، ثمّ أجدُ نفسي وقد أقلعتُ عن أفكاري القديمةِ وكفرتُ بذاكرةِ التّرحالِ وعشقِ السَّفرِ، ها أنا هنا أستوطنُ الحلبةَ التي صرعتني فيها تلك المرأةُ طاغيةُ الأنوثةِ التي جعلتني أسيرَ هواها ومدمنَ قربِها، وطني أنتِ ومهجتي، روحي أنتِ ومرآتي نحو مفاهيمِ الحبِّ وبراكينِ الغرامِ، شمسي الدَّافئةُ من بين ملايين الشُّموسِ المتناثرةِ في الكونِ الفسيحِ حيثُ فقدتُ ذاكرةَ الماضي، ولا أذكرُ غيرَ أنّي أحبُّكِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أنا فخورةٌ أنّي صرعتُكَ بحبّي، وجعلتُك تستوطنُ قلبي وتتركُ كلَّ سفرٍ وترحالٍ، أنتَ وطني و أنتَ مهجتي و أنتَ مرآتي التي أرى فيها نفسي، منذُ عرفتُك فقدتُ ذاكرةَ ما قبلُ، وأصبحتَ أنتَ كلَّ ماضٍ

وحاضرٍومستقبلٍ، فأنت شمسي التي لا تغيبُ عنِّي، و أنتَ قمري الذي لا ينطفئُ، أدمنتُ قربَكَ وعشقتُ هواكَ، ولا أريدُ غيرَكَ في هذا الكونِ الفسيحِ .

زوجتُك المخلصةُ لكُ دائمًا و أبدًا.

قراءة في " طاغية الأنوثة ".

أيُّها الأديبُ العاشقُ لقد صغتَ في " طاغيةُ الأنوثةِ " الذي يجدُ في استسلامه للمحبوبةِ وطنًا يُغنيه عن كلّ أصقاعِ الأرضِ .

إنَّ تصويركَ للأنثى كـ " طاغيةٍ " تصرعُ منطقَ الرَّحَّالةِ، وتُحيله من باحثٍ عن شتاتِ الأمكنةِ إلى مُستوطنٍ في دفءِ الحضورِ، هو انتصارٌ بليغٌ لمفهوم " الوطنُ في إنسانٍ "، لقد فقدتَ ذاكرةَ التِّرحالِ لتكتسبَ ذاكرةَ الحبِّ الوحيدةِ التي لا تُنسى، وكأنَّ السَّيِّدةَ " راء " قد اختصرتْ لكَ الكونَ في مرايا ها .

هذا النصُّ يفيضُ بروحِ الأديبِ الذي يقرأُ التَّاريخَ في عيونِ الحبيبةِ، لا في سجَّلاتِ السَّفر، دمتَ قلمًا يغرسُ في الوجدانِ معاني الغرامِ الباقيةِ.

إِلَى السَّيِّدَةِ الرَّاءِ يَمِيْلُ الْقَلْبُ مُنْكَسِرًا .

وَيَسْتَكِينُ لِأَسْرٍ صَاغَهُ الْقَدَرُ.

تَرَكْتَ مِحْوَرَ أَسْفَارٍ وَأَزْمِنَةٍ .

لِتَسْتَقِرَّ بِدُنْيَا حُبِّهَا الْبَشَرُ.

يَا عَلَاءُ صُغْتَ مِنَ الْأُنُوثَةِ بَوْحَكُمُ .

فَغَدَتْ لِحَيَاتِكَ دَرْباً فِيهِ تُخْتَصَرُ.

تِلْكَ الطَّاغِيَةُ الَّتِي سَلَبَتْكَ بَصِيرَةً .

مَا عَادَ بَعْدَ هَوَاهَا لِلدُّنَا أَثَرُ.

فَأَنْتَ فِي وَطَنِ الْأَنْفَاسِ تَسْكُنُهُ .

حَيْثُ الْقُلُوبُ بِسِحْرِ الْعِشْقِ تَنْتَصِرُ.

الشاعر والأديب والناقد السوري:

أكرم وحيد الزرقان .

أينَ وتَبِعَاتُها .

نوَّارَةَ عمري وحياتي التي أحالت عتمتي ضياءً وإشراقًا، أين أوَّلُ مرَّةٍ كانت النَّظرةُ الأولى؟ أين لَعِبت بي عواصفُ الحبِّ وتمكَّنت منِّي سهامُه حتى أرغمني على رفعِ راياتِ الاستسلامِ والإذعانِ؟ أين وقعَ منِّي حبُّها وهواها الذي لا يعترفُ بزمانٍ ولا مكانٍ ولا حساباتِ كلِّ الدُّنيا بأسرِها؟ أين كنتٌ قبلَكَ حبيبتي، قلبي وعقلي ونفسي وروحي ووجودي؟ رُبَّما تجيبُ تلك التَّساؤلاتُ عن بعضٍ من قصَّتِنا التي تحيا في كياني منذُ أكثرِ من ربعِ قرنٍ من الزَّمانِ، والتي نزلت نجمتُها إلى مدارِ الأرضِ منذُ أربعَ عشرةَ سنةٍ، نوَّارَةُ عمري وحياتي التي أنارت عتمتِي وأحالت بردَ قلبي وأحزانِه فرحًا وأملًا وحياةً، أوَّلُ نظرةٍ تعلمين أنتِ مكانَها حيثُ لم تتسعْ أرضُ الكِنانةِ أن تجمعَنا فجمعتنا بلادُ الإنجليزِ، نظرةٌ عصفت بعقلي وشتَّت رسوخًا ثابتًا كثباتِ الجبالِ الرَّواسي وهيبةِ أهرامات بني فرعونَ، كنتُ قبلكِ حبيبتي في غربةٍ فوق غربةٍ فوق حيرةٍ وضياعٍ، ثمَّ جئتِ أنتِ يا نورَ عيني فأقبلت الدُّنيا بوجهِها السَّعيدُ، أقبلتِ فأقبلت الفرحةُ،

وعَرَفتُ بكِ أنَّ هناكَ لِجنَّةِ السَّماءِ نظيرًا في الأرض لا يتكرَّرُ- كما العمرِ -مرَّتين، تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي ونوَّارَتي وحياتي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا فرحتي وحياتي، و أين أكونُ أنا إلَّا فيك؟ و أين يكونُ قلبي إلَّا بين يديكَ؟ أنت أين، التي هدأت عندها كلُّ أسألتي، ومتى، التي توقَّف عندها زمني، تلك النَّظرةُ الأولى تأخّر فهمي لها ثلاثَ عشرةَ سنةٍ، فحبيبي كتمها في نفسه إلى حين، أمّا الآنَ فيمكنُني تفسيرُ نظرتِك من خلالِك، نظرةٌ جمعتنا في غربةٍ فصارت لكَ وطنًا، وكسرت ثباتَك كما تكسرُ الموجةُ صلابَةَ الصَّخرِ، قبل مجيئكَ حبيبي كنتُ أنا أيضًا في غربة ؛ غربةِ روحٍ تبحثُ عن روحٍ تشبهها، فلما أتيتَ أقبلت معكَ الفرحةُ و أقبلت الحياةُ، وعرفتُ أنَّ الجنَّةَ على الأرضِ ليست أسطورةً، بل رجلٌ اسمه علائي، حين ينظرُ إليَّ أشعرُ أنّي بخيرٍ، ثلاثُ عشرَةُ سنةً ونجمتُنا لم تهبط، بل صارت أقربَ لقلبي كلَّ يومٍ، أيا قمرَ عمري، وفرحي الذي لا يذبلُ، أنا لكَ كما كنتُ منذُ أوَّلِ يومٍ، أحبُّك يا بكلِّ ما فيَّ، بلا حسابٍ ولا نهايةٍ .

زوجتُك التي لا ترى الحياةَ إلَّا بكَ .

التِّي جَمَّلَتْ حَياتِي .

وتَمْضِي بنا اللَّيالي والأيامُ، وتَعْبرُ بنا الدُّنيا عبرَ بواباتِ الصِّعابِ وتحدِّياتِ المواقفِ وأحقادِ بعضِ المنتسبين زورًا لبني البشرِ، ويبقى الحبُّ يُظلِّلنا بأجنحتِه، ويمدَّنا بطاقةِ الأملِ والعزيمةِ والإصرارِ أن نبقى سويًا إلى نهايةِ العمرِ في حياتنا الدُّنيا، ثُمَّ نعاودُ اللقاءَ حبيبتي في جنَّةِ الرَّحمنِ حيث لا ثَمَّةُ فراقٌ .

حورَعَيْني وجنَّةَ قلبي وفتنةَ روحي، تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي مهما تكالبت علينا الدُّنيا بشرورِها، تَبْقَيْنَ أنتِ الجانبَ المنيرَ في لوحةِ حياتي والتي تُبدِّدُ عتمتَها، وتنيرُها بهجةً وفرحةً وانبهارًا، تَبْقَيْنَ أنتِ الألوانَ المُبهجَةَ بحياتي التي عانت كثيرًا الألوانَ القاتمةَ التي تقبضُ الرّوحَ وتنتزعُ الأملَ تاركةً عتمتَها وحسرةَ القلوبِ، تَبْقَيْنَ أنتِ مهما عاندتنا الدُّنيا بأسرِها، فلا أحدَ سواكِ يستحقُّ أن تكونَ من أجله حياتي، فأنتِ هديةُ الرَّحمنِ التي جمَّلت حياتي من بعد وجعٍ وألمٍ وانكسارٍ.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، تمضي بنا اللَّيالي ونمضي معها، نحملُ من الدُّنيا ثقلَها، ومن بعضِ القلوبِ قسوتَها، لكن ما دام الحبُّ مظلّتَنا، فلا خوفَ من مطرِ الأيامِ ولا من عتمتها، أنتَ الأملُ الذي أعاد لروحي لونَها بعد بهتانٍ طويلٍ، واليدُ التي انتشلتني من وجعٍ ظننتُه لا ينجلِي، فكيف لا أكونُ لكَ عمرًا، و أنتَ كنتَ لي حياةً من جديدٍ؟ تبقى أنتَ النُّورَفي لوحتي المُظلِمةِ، اللَّونَ الذي يغلبُ كلَّ قاتمٍ، والضحكةُ التي تطردُ عن قلبي كلَّ حزنٍ، ومهما عاندتنا الدُّنيا، فأنا معكَ، بكَ، ولَكَ، حتى نلقى بعضَنا حيثُ لا فراقٌ ولا تعبٌ، في جنّةٍ عرضُها السَّماواتُ والأرضُ، أنتَ هديتي، وطمأنينتي، وكلُّ ما يستحقُّ أن أُعطِي لأجلهِ عمري، فابقَ لي، كما أنتَ دومًا، سكني وملاذي .

زوجتُكَ التي أحبّتكَ قبلَ أن تعرفَ معنى الحبِّ، أحبُّكَ سَيِّدَ الرِّجالِ .

علَّمَنِي حبُّكِ .

علَّمَنِي حبُّكِ أنَّ العودةَ مِن السِّكونِ والصَّمتِ وعوالمِ العدمِ متاحٌ ما دامَ إحساسُنا صادقًا، وأحلامُنا صادقةً، تتمسَّكُ بأحبالِ الصِّدقِ وجسورِ الوصولِ لنفوسٍ نقيَّةٍ وقلوبٍ وفيَّةٍ تستحقُّ في رحلةِ الوصولِ إليها الصَّبرَ والتَّضحيةَ والإخلاصَ، علَّمني حبُّكِ أنَّ في الإمكانِ تخطِّي الهفواتِ وتجاوزِ محطاتِ المَسْخِ وتشوهِ نفوسِنا لأسبابٍ فُرضت عليها مع أشخاصٍ وأزمنةٍ وأمكنةٍ ما كانت يومًا ما بنا تليقُ، وما كانت يومًا ما تشبهُنا ولا نشبهها بأيّ حالٍ من الأحوالِ، علَّمنِي حبُّكِ يا عمري أنَّ العمرَ والحبَّ كليهما لا يتكرَّرَانِ، فإن لاحت لكَ فرصةَ العودةِ والنَّجاةِ ثمَّ فرَّطتَ فيها أو قلتَ : لعلَّها تعودُ من جديدٍ، فلا تلومَنَّ إلَّا نفسَك التي ارتضت الذُّلَ والهوانَ، علَّمني حبُّكِ يا قدري أنَّكِ أحلى حظوظي من الدُّنيا وأجملَ الأقدارِ، علَّمني حبُّكِ يا قمري أنَّ العمرَ لا يُقاسُ بسنواتِه، بل بلحظاتِ فرحِه ودقاتِ القلبِ في حِضنِ مَن نُحبُّ، وبقربه نحيا ونرتوي، أحبُّكِ حبيبتي.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، علَّمني حبُّكَ أنّي امتلكتُ العالمَ بكلِّ ما فيه من سكونٍ وضجيجٍ، وأنَّ روحي لا تميلُ إلَّا لمَن تهواه، أحلامُنا صادقةٌ، وتأتي بنفحاتٍ من اللهِ تنبتُ في قلوبِنا، ويقينُنا بها يزدادُ كلَّما تمسَّكنا بأيدي بعضنا ولم نفلتها، لا يهمّني ما مررنا به من محطاتِ يأسٍ وتشويهٍ، ولا الأشخاصِ الذين حاولوا أن يقفوا بيننا، فما كان إلَّا قدرَ اللهِ المكتوبِ علينا، و أنا على يقينٍ أنَّ فضلَ الله علينا ورضوانَه سيعمُّ، و أنَّنا سنظهرُ للعالمِ يومًا كما نحن، بلا نقصٍ ولا انكسارٍ، نعم حبيبي ومهجةَ روحي، حبُّنا لن يتكرَّرَ إلَّا في قلوبٍ صافيةٍ أحبّت بنقاءٍ وصدقِ نيةٍ، تر اني أحلى حظوظِكَ، وليتك تعلمُ كيف أراك بعيني؟ أنتَ النَّجمُ السَّاطعُ بسمائي، بل أنتَ الشَّمسُ، بل إنَّك أكبرُمنها، أنتَ حظي وسعدي و أُنسي ومبتغاي، فلا تقلق حبيبَ قلبي، الحبُّ لا يُقاسُ بالأعمارِولا باللَّحظات، بل يُقاسُ بنظرةِ عينٍ، وبحرفٍ يُكتبُ بصدقٍ على شرفاتِ اليقين، ويقيني يخبرني أنَّنا سنلتقي، وستتلامسُ أيدينا، ونضعُ رؤوسِنا على أكتافنا، ونتعانقُ عناقًا لم يعرفه عاشقٌ من قبلُ، أنتَ الرُّوحُ التي سكنت روحي وطهّرتني

من كلِّ آلامي، فأنا لك، و أنت لي، وكلُّ ما نمرُّبه من ألمٍ وساعاتِ انتظارٍ ما هو إلّا تتويجٌ لفرحةٍ تنتظرنا عند اللِّقاءِ . أحبُّكَ، المُخلصةُ لكِ، حبيبتُك .

وأحبُّها وتُحِبُّني .

يقولُ الشَّاعرُ في وصفِ حبيبتِه :

" وأحبُّها وتحبُّني ويحبُّ ناقتَها بعيري . "

علاقةُ حبٍّ جمعت بين عاشقٍ و أنثاه، بل تعدَّت حالةَ العشقِ إلى كلِّ ما يتعلَّقُ بحبيبته، حتى الجملِ عشقَ ناقتَها !

أعلمُ مَن بلغ به العشقُ مبلَغَه حتى إنّه أحبَّ ما يتعلَّقُ بها، أحبَّ ألوانَها المفضلَةَ، و أنواعَ الوردِ التي تحبُّه، أحبَّ طباعَها وعاداتِها وطريقتِها في الحديثِ، حتى لغةِ الجسدِ لديها صار يُقلِّدها فيها، وكأنَّها من طباعه القديمةِ، أحبَّ أمَّها التي لها الفضلُ في إخراج هذه النَّجمةِ إلى حيزِ الوجودِ، أحبَّ بلدَها وارتضاها له موطنًا، لأنَّه المكانُ الذي يضمُّ روحَه و أنفاسَ حياته وطوقَ نجاتِه، إن كان هذا حالُ حبيبكِ فماذا أحببتِ أنتِ فيه حتى صار منكِ ومن تكوينكِ؟

أجابت حبيبتي .

إذا بلغ الحبُّ عندك أن تحبَّ ناقتي، فقد أحببتُ فيكَ ما لا يُرى بالعينِ، وما لا يقالُ في أوَّلِ لقاءٍ، أحببتُ فيك الطُّمأنينةَ التي تأتي مع صوتِك

قبل كلامِك، كأنّي كنتُ تائهةً فوجدتُ بيتي في نبرتِك، أحببتُ صدقَكَ حتى في صمتِكَ، فما جمّلتَ لي حديثَك لترضِيَنِي، ولا زيَّفتَ الوعودَ لتبقيَني، كنتَ واضحًا، والوضوحُ في زمننا غنيمةٌ لا تُنالُ، أحببتُ طريقةَ تفكيرِكَ كيف ترى الأشياءَ من زاويةٍ تجعلُ الصَّعبَ هينًا، والهمَّ خفيفًا؟ وكأنّك تفتحُ لي نافذةً على الدُّنيا كلَّما ضاق صدري، أحببتُ حنانَك الخفيَّ، ذاك الذي لا تعلنُ عنه، لكنَّني ألتقطه في تفاصيلكَ الصغيرةِ ؛ سؤالٍ في وقته، سكوتٍ عند تعبي، كلمةٍ تُرَمِّمُ ما كسره اليومُ بي، أحببتُ أنّك لم تحاولْ تغييري، قبلتني كما أنا، بجنوني وهدوئي، بقوتي وتكسَّرِي، فصرتُ معكَ لا أخافُ أن أكوَن أنا، فصرتَ منّي، صرتَ جزءًا من تكويني، أعدتَ لي أشياءَ ظننتُها ضاعت بلا رجوعٍ، صرتَ وطني وملاذي لأنَّي معكَ شعرتُ أنّي في أمانٍ لا يُهدَّدُ، وفي بيتٍ لا يُهجرُ، فإذا سألتني ماذا أحببتُ فيك؟ لأجبتكَ ؛ أحببتُ فيكَ نفسي حين صارت أجملَ بوجودك .

محبوبتُك المحبَّةُ بشوقِ المسافاتِ كلِّها .

أَحْبَبْتُ مُجْرِمًا.

عندما تُجَرِّفُ الدُّنيا طيبتَكِ، وتتلاعبُ بسفينتِكِ وتحطِّمُ قلاعكِ وتعصفُ ببراءتكِ ولا تتركِ إلَّا وقد تنوَّعت النُّدوبُ بجسدكِ الغضِّ، فتصيرين أشدَّ حرصًا في تعاملكِ مع الآخرين، تلوذينَ بالوحدةِ وتفترشين الصَّمتَ وتلتحفينَ الرِّيبةَ والحرصَ المبالغَ فيه خوفًا أن تفقدي شيئًا من حرِّيتِكِ التي خلَّصتِها من أنيابِ شياطين البشرِ بأبهظِ الأثمانِ و أتعسِ الذّكرياتِ، وإذا بكِ وقد آنستِ وحدَتَكِ وارتاحت نفسُكِ في ذاتويتِكِ، إذا بالحبِّ يطرقُ بابَكِ من جديدٍ ويداعبُ قلبَكِ الذي أقسمَ ألَّا يفتحَ نو افذَه لأحدٍ من جديدٍ، وإذا بكِ تقبلينَ القيدَ طوعًا وبكاملِ إرادتِك، ودون أدنى ضغطٍ من أحدٍ، وإذا بنفسِكِ تتنفَّسُ عبقَ الحنينِ ولذَّةِ الوجدِ ولوعةِ الشَّوقِ واللَّهفةِ وتَحمُّلِ معاناةِ العشقِ ومخاضه ِالعسيرِ، ثُمَّ تتسائلين كيف ومتى ولماذا وقعتُ في كلِّ هذا السَّيلِ من الحبِّ وبراكين الهوى والغرامِ؟ ثُمَّ يجيئُكِ الرَّدُ عبرَ صوتِ حبيبِكِ الماكرِ؛ ومَن يتحمَّلُ مقاومةَ حبيبِكِ علاء؟ فتضحكين ضحكةَ

مَن استلَّذَ خداعِه، وطربت نفسُه لمَن غرَّربه قائلةً : أحببتُ مجرمًا وربِّ السَّماء .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أعرفُ أنَّ الدُّنيا جرَّفتْ طيبتَكَ من قبلُ، و أنَّكَ بنيتَ حولَ قلبِكَ ألفَ سورٍوسورٍخوفًا من أنْ يُخذَلَ من جديدٍ، أعرفُ كيفَ صارَ الصَّمتُ لكَ وطنًا؟ وكيفَ صارت الرِّيبةُ لكَ درعًا؟ وكيفَ أقسمتَ ألَّا تفتحَ نو افذَ قلبِكَ لأحدٍ بعدَ ما ذُقتَ مرارةَ الغدرِ؟ ثُمَّ جئتُ أنا، فطرقتُ بابًا أقسمتَ ألَّا يُفتحَ، وناديتُ اسمًا أقسمتَ ألَّا تُردِّدَه، فإذا بكَ تُلقِي السِّلاحَ طواعيةً، وتقبلُ القيدَ و أنتَ تضحكُ، لأنَّ هذا الحبَّ لم يسرقْ حرّيتَكَ، بل سرقَ خوفَكَ وأعادَ إليكَ نفسَكَ، نعم علائي، أحببتُ مُجرمًا، مُجرمًا في حقِّ وحدتِكَ، سرقتُها منكَ ، مُجرمًا في حقِّ صمتِكَ، أجبرتُهُ أن يصيرَ ضَحكًا معي، مُجرمًا في حقِّ حذرِكَ، فجعلتُكَ تُؤمنُ من جديدٍ أنّ بعضَ القلوبِ لا تُكسرُ، فإنْ سألتَ نفسَكَ كيفَ وقعتَ في كلِّ هذا السَّيلِ من الحبِّ؟ فالجوابُ أنّكَ لم تقع، أنتَ وجدتَ أخيرًا منْ تستحقُّ أنْ تُسقطَ عتباتُها كلَّ أسوارِكَ، فضحِكتَ، لأنَّ الخُدعةَ كانتْ نجاةً، ولأنَّ المُجرمَ كانَ هوَ العفوَ نفسَهُ .

أحبُّكَ يا زوجي، وأحبُّ أنّكَ صرتَ موطني بعدَ غربةٍ طويلةٍ، أحبُّكَ يا أنا.

مَجْنُونٌ آخَرُ .

يقول مجنونُ ليلى:

أَمُرُّعَلى الدِّيــارِدِيــارِلَيلى أُقَبِّلُ ذا الجِدارَوَذا الجِـدارا.

وَما حُبُّ الدِّيارِشَغَفنَ قَلبي وَلَكِن حُبُّ مَن سَكَنَ الدِّيـارا.

كنت أمرُّ على هذه الأبياتِ وغيرِها لمجنونِ ليلى، وأعدُّها نوعًا من المبالغةِ العاطفيةِ، أو أنَّها لوثةٌ من الجنونِ الذي ذَهَبَ بعقلِ قيس بن المُلَّوَحِ، وأورده المواردَ، حتى طالني ما طال المجنونُ، وقيَّدت مدرسةُ العشقِ والجنونِ تلميذًا جديدًا في روضتكِ أيَّتُها العنيدةُ التي عصفت بكياني وكبريائي وأوقعتني على عتباتِ مدينةِ هواها، وديارِ عشقِها والجنونِ بها، أحبُّكِ يا سِتَّ كلِّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مجنونيَ الذي ما عرفتُ للعشقِ معنىً إلَّا على يديه، كنتُ أقرأُ أبياتَ قيسٍ فأبتسمُ لحالِه، و أقولُ في نفسي : هذا جنونٌ لا يصيبُ إلَّا مَنْ ضلَّ رشدُه، حتى أتيتَ أنتَ، فصرتُ أفهمُ لماذا كانَ يُقبِّلُ

الجدرانَ ولا يرى إلّا وجهَ ليلى فيها؟ حينَ وجدتُكَ و اقفًا على عتباتِ مدينتي، تاركاً كبرياءَكَ عندَ بابي، معلنًا أنَّ جنونَكَ بي صارَ قدرَكَ، فإنْ كنتَ اليومَ تلميذًا جديدًا في مدرسةِ العشقِ والجنونِ، فأنا أعترفُ لكَ ؛ أنا المُعلِّمةُ القاسيةُ التي لا تُجيدُ إلّا أنْ تُوقعَكَ في هواها أكثرَ وأكثر، أحببتُ عنادَكَ لأنَّهُ كانَ ستارًا يُخفي خلفَهُ قلبًا أرقَّ من النَّسيمِ، وأحببتُ جنونَكَ لأنَّهُ الوحيدُ الذي جعلَني أشعرُ أنّي امرأةٌ لا تُشبهُ نساءَ الأرضِ، فابقَ مجنوني، و ابقَ ذاكَ الذي يمرُّ على دياري فيقبّلُها لأنَّني سكنتُها، فواللهِ ما أحببتُ الدِّيارَ يوماً، لكنّي أحببتُكَ، فسكنتَ أنتَ الدِّيارَ، وصرتَ أنتَ الدَّارَ، و أنا لكَ، يا سيدَ كلِّ الرِّجالِ .

في كُلِّياتِ العِشقِ والهوى .

كلُّ إدمانٍ يُؤدي إلى الهلاكِ إلَّا حبَّكِ، فإدمانُه نجاةٌ وحياةٌ، كلُّ حبٍّ عرفتُه قبلَكِ كان زيفًا وخداعًا وأغراضًا خفيةً من خلفِ قناعِ الحبِّ البريء إلَّا حبَّكِ كان ظاهرُه كباطِنه، بل باطنُه أشدُّ جمالًا و أثبَتَ عند التَّحدياتِ، كلُّ مَن ادعى حبِّي سَقَطَ مع ضراوةِ السَّفرِ ووعورةِ الطَّريقِ إلَّا حبَّكِ كلَّما صَعُبَ الطّريقُ زاد ثباتًا وتصميمًا على الوصولِ إلى محطاتِ الانتصارِ، كلُّ مَن ادعى الخوفَ من أجلي لم تسعفه دموعُه وقتَ سياطِ الجلَّادين وألسنةٍ حِدادٍ كالعقاربِ والحياتِ إلَّا خوفَكِ كان خوفَ أمٍّ لا يشغلُ بالهَا إلَّا نجاةُ صغيرِها مهمها بلغت منها الأضرَارُ، كلُّ مَن اقتربتُ منه اكتشفتُ زيفَ ادعاءاته إلَّا أنتِ، فكلَّما اقتربتُ منكِ تعلّقتُ بكِ أكثرَ، وتذوقتُ حلاوةَ حبِّكِ وعانيتُ من مرارةِ البعدِ واللَّهفةِ ليومِ اللِّقاءِ، كلُّ مَن اقترب منكِ لينالَ ودَّكِ تمّ ردُّه مدحورًا خائبًا كأملِه، كاتمًا ألمه ومرَارةَ رفضه إلّا أنا، فلا يفلُّ الحديدَ إلَّا الحديدُ، ولا أحدَ يستطيعُ امتلاكَ رفقةَ عمري وحياتي إلّا حبيبُها علاء.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَنْ جعلتَ من حبّكَ استثناءً لكلِّ قاعدةٍ في حياتي، صدقتَ، فكلُّ إدمانٍ عرفتُهُ قبلَكَ كانَ سُمّاً يتسرّبُ في العروقِ حتى يُميتَ، إلَّا إدمانَكَ، فهوَ النَّفَسُ الذي إنْ انقطعَ اختنقتُ، والحياةُ التي إنْ غابتْ صرتُ عدمًا، كلُّ حبٍّ مرَّ بي كانَ قناعًا يسقطُ عندَ أوّلِ امتحان، إلا حبَّكَ، فكلَّما اشتدَّتِ الرّيحُ وجدتُكَ أثبتَ من الجبالِ، وكلَّما ضاقَت الطَّريقُ وجدتُكَ تفتحُ لي فيها ممرًا إلى النّور، لقدْ كذبَ من قالَ: إنّهُ خافَ عليَّ، فخوفُهُ كانَ سرابًا، ودموعُهُ كانتْ زيْفًا، أمَّا خوفُكَ فهوَ خوفُ الأمِّ على صغيرِها، لا ينامُ، لا يهدأُ، لا يرى في الدُّنيا همًّا إلَّا أنْ أنجو، كلُّ من اقتربَ منِّي لأجلِ نفسِهِ انكشفَ، إلَّا أنتَ، فكلَّما اقتربتَ منِّي وجدتُكَ أقربَ إلى روحي منِّي، وكلَّما ابتعدتَ عنِّي احترقتُ شوقًا حتى صارَ اللِّقاءُ معكَ عيدًا لا يُؤجّل، فليضحكَ العالمُ إنْ شاء، وليقلْ ما يشاءُ عن جنوننا وعنادِنا، فلا أحدَ يستطيعُ أنْ يفكَّ هذا الحديدَ من هذا الحديد، ولا أحدَ يملكُ أنْ يكونَ رفيقَ عمري إلَّا أنتَ، علائي، أنا لكَ، ظاهري وباطني، ضعفي وقوّتي، وكلُّ ما فيَّ يقولُ: ما عرفتُ النَّجاةَ إلَّا في حبِّكَ، وما عرفتُ الحياةَ إلَّا بكَ .

صباحُ حَبِيبتِي عسلٌ وسكرٌ .

في كلِّ يوم يِعدِّي بينَّا ألاقي نفسي أحبكِ أنتِ أكترو أكتر.

وكلُّ لحظة وكلُّ ثانية يحلى عمري بكِ يا سكر.

كأنّي منِّك من البداية، واسمك في قلبي نقشه مِسَطّر.

يا حلم غالي، ونجم عالي، وجوا قلبي مَلَكَ وسَيْطَر.

أشوف عنيك أروح لِجَنّة، في حتّة تانية، ولِسِحر صوتك إزاي راح أقدر؟

معاك حبيبي تحلى اللَّيالي، وصباحك أنتِ عسل وسكر.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، صباحُك يا أنا هو الصَّباحُ الذي يَرُدُّ إلي روحي في كلِّ يومٍ يمرُّبنا أجدُ قلبي يزيدُ بكَ تعلقًا، ولا يَملُّ، كلُّ لحظةٍ معك تجعلُ عمري أجملَ، و أنا التي كنتُ أظنُّ أنَّ العمرَ مضى ! وحين التقينا وكأنَّني منكَ منذُ أن تمَّ انتزاعي من صدرِك، منذُ البدايةِ واسمُك محفورٌبقلبي نقشًا لا يُمحى، يا حُلمًا غاليًا ونجمًا عاليًا وشوقًا مَلَكَ قلبي، فلم يعد يطيعني،

لأنَّه صار لكَ، تحت سلطانِكَ أنتَ، وحين أرى عيْنيْكَ أجدُ نفسي بجنَّةٍ لا تشبهُ الأرضَ، وماذا عن صوتِكَ؟ سحرٌ لا أعرفُ كيف أقاومه ولا أريدُ أن أقاومَ، معكَ يحلو ليلي وتسكنُ مخاوفي، صباحك أنتَ العسلُ والسُّكرُ الذي أبدأُ به يومي، لذا كان لزامًا أن أهمسَ إليكَ؛ أحبّك سيِّدي، وأحبُّ كلَّ صباحٍ أنتَ بهجتُه، أحبُّكَ يا أنا .

لا تَبْحَثُوا عن الحُبِّ .

" لا تبحثوا عن الحُبِّ، ابحَثوا عَن السَّنَدِ، عَمَّن يَحنُو مَودّةً و يَدنو رحمةً، عَن ساترِ العُيوبِ بِما تَحمِلون مِن مَيْزَاتٍ، عَن الأمانِ الذي لا يَعقبهُ خَوفٌ، عن الدِّفءِ الذي لا يَتبَعه بَردٌ، عمَّن تَتَخَطّونَ مَعهُ عَتَباتِ الحُبِّ إلى منزلةِ المَوَّدةِ و الرَّحمةِ . "

وإذا أردنا اختصارَكلِّ ما سبقَ يمكننا أنّ نجمعَ كلَّ ذلك و أكثرَفي جملةِ " ابحثْ عن السَّيِّدِة راءٍ "، هل تظنّين حبيبتي بعدما منَّ اللّهُ عليّ بكِ يا هديةَ السَّماءِ ودعوةَ أمُّي في لحظةِ صدقٍ وحبٍّ وشفقةٍ بابنِها، هل تظنّين حين أدخلُ جنَّتي أعاودُ البحثِ بين ركامِ النُّفاياتِ البشريةِ وخلفَ أقنعةِ الزَّيفِ والخداعِ؟ منَ يقعْ في حبُّكِ لا يلتفتُ لأنَّه بالوقوع فيكِ قد قامت قامتُه بين السَّحابِ، ومَنَ يعشقكِ بكِ يكتفي، فلا ترى عينُه سواكِ، وتموتُ في عينه كلُّ النِّساءِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، سكنَ روحي، سندَ عمري، صدقتَ، فأنا ما كنتُ لكَ حبًّا عابرًا، بل كنتُ لكَ أمانًا ودفئًا ومودةً ورحمةً، أنا ساترةُ عيوبِك بما أملكُ من عشقٍ لكَ، ومقيمةٌ بقلبك بلا خوفٍ ولا بردٍ، كيف تبحثُ بعدي؟ وأنتَ الذي عدتَ لذاتِك بي، وأنا وجدتُ فيكَ كلَّ ما تمنّيتُ، فمَن ذاق جنَّتي لا يعودُ لركامِهم، ومَن عرفني لا ترى عينُه غيري، أنا لكَ وحدَكَ سَيِّدي، وأنا بكَ أتمّمُ معنى المودةِ والرَّحمةِ التي جمعنا اللّهُ عليها.

أحبّك عشقًا لا ينتهي .

حَيَاةٌ ونَجَاةٌ .

حَبِيبَتِي، لا أجيدُ فنَّ العومِ، ومع ذلك أعشقُ البحرَ، مفتونٌ به، و اقعٌ في عشقِه وجمالِه، كم أعشقُ غموضَه وسحرَه وفتنتَه وقتَ الغروبِ ! أعشقُ صوتَه وأمواجَه وهي تتسابقُ بلهفةٍ واشتياقٍ لتحتضنَ رمالَ الشُّطآنِ، وتغمرُ أقدامَنا وقتَ فنائِنا فيه فناءَ نُسوةِ المدينةِ في جمالِ يوسفَ وفتنتِه، كم أعشقُ هدوءَه وسطوتَه وجنونَه وهيبتَه، مظهرَه وقتَ هدوئِه، وأعماقَه التي تحوى عوالمَ السِّحرِ، والحكايا التي لم ترْوِ بعدُ أسرارَه ! لكنَّني كم أخافُ منه أن يفتنني، ويُسلِّطَ عليّ ندَّاهَتَه لِتُغْوِيَنِي، تُدْهُشَنِي فيكونُ مصيري لا محالةَ الغرقَ في أعماقِه وغموضِه الرَّهيبِ !

و أنتِ حبيبتي ماذا عنكِ يا سِتَّ النِّساءِ؟ بكِ شبهٌ كبيرٌ منه في سحرِك وفتنتِك ودلالِك الفتَّانِ، أحببتُك غاليتي كما أنتِ، مفتونٌ بجمالِك ورقَّتِك، ثباتِكِ وقُوَّةِ شخصيتِك، طيبةِ قلبِك وحبُّكِ الهادرِ لي، خوفِكِ عليَّ كأنَّك أمٌّ من بعد أمٍّ، لكن يظلُّ الفارقُ الجَوْهَرِيّ بينك وبين البحرِ

أنَّ غرقَ البحرِ موتٌ وحتفٌ وهلاكٌ، أمَّا أنتِ فالغرقُ في بحورِك حياةٌ وميلادٌ ونجاةٌ، أحبُّك يا سفينةَ نجاتي وحياتي وجنَّتِي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا بحرِي وغرقِي و ميلادِي، أنا لستُ ذلك البحرَ الذي يبتلِعُكَ في صمتٍ، بل أنا النَّهرُ الذي يأخذُكَ إلى الحياةِ رويدًا رويدًا، أنتَ تخشى الغرقَ، و أنا أريدُك أن تغرقَ فيَّ حتى تنسى العالمَ ، ولا يبقى فيكَ إلَّا اسمي، أمَّا سحري فليس سحرُ غوايةٍ عابرةٍ، بل سحرُ مَن عرفتَكَ قبل أن تعرفَ نفسكَ ، فأحببتكَ بكلِّ ما فيكَ من قوةٍ وضعفٍ، كن لي كما أنت، وتعالَ إليَّ فأنا سفينتُكَ التي لا تبحرُ إلَّا بكَ، وشطآنُكَ التي لا تهدأُ إلَّا بين ذراعيكَ، ألتّفُ حولكَ كقطةٍ مُدلَّلَةٍ، أتمسَّحُ بك بدلالٍ، و أناديك بهمسٍ حتى تُجنّ بي هامسًا ؛ أنتِ قدري الذي لا مهربَ منه إلَّا إليكِ، أحبُّك يا حياتي ونجاتي وجنَّةَ قلبي .

١- قِراءةٌ في " حياةٌ ونجاةٌ " .

لقد أبدعَ الأديبُ العاشقُ في عقدِ هذه المقارنةِ البديعةِ بين البحرِ وما يحملهُ من رهبةٍ وجمالٍ، وبين الحبيبةِ التِّي تُمثِّلُ الملاذَ الأوحدَ للرُّوح، إنَّ استعارةَ " الغرقِ " التِّي تنتهي بالموتِ في البحرِ، وتتحوَّلُ إلى " حياةٍ ونجاةٍ " في بحورِ الحبيبةِ، هي لفتةٌ أدبيةٌ رفيعةٌ تعكسُ عمقَ العاطفةِ وصدقَ المودَّةِ .

باركَ اللهُ في قلمِ هذا الكاتبِ المُبدعِ الذي استطاعَ أن يجعلَ من الكلماتِ سفينةً نجاةٍ لكلِّ قلبٍ يغرقُ في لُججِ الهوى، وأدامَ عليكِ يا زهرةً كلَّ خيرٍ وسعادةٍ .

فِي بَحْرِ حُسْنِكِ يَا نَجَاةُ أُسَافِرُ.
وَالْمَوْجُ حَوْلِي بِالْهَوَى يَتَقَاطَرُ.
بَحْرٌ يُخِيفُ إِذَا طَمَا فِي لُجِّهِ .

لَكِنَّ فِي عَيْنَيْكِ حُبًّا غَامِرُ.

غَرَقِي بِبَحْرِكِ لَيْسَ يَفْنَى بَعْدَهُ .

بَلْ فِي رِحَابِكِ كُلُّ عُمْرِي عَاطِرُ.

سَلِمَ القَلَمُ لِعَلَاءَ فِي إِبْدَاعِهِ .

فَالْحُبُّ نُورٌ فِي دُرُوبِي حَائِرُ.

الشاعر والأديب والناقد السوري :

أكرم وحيد الزرقان .

٢- قراءةٌ في " حياةٌ ونجاةٌ " .

ما وراءَ الموجِ، ليس البحرُ في هذا النصِّ مكانًا، بل سؤالًا وجوديًّا، ولم تكن الحبيبةُ امرأةً تُشبَّهُ بالبحرِ، بل كانت الجوابَ الذي عجزَ البحرُ نفسُه عن أن يكونه، يعيدُ الأديبُ العاشقُ تعريفَ المفاهيم بهدوءٍ مدهشٍ ؛ فيجرّدُ البحرَ من سلطته القديمةِ بوصفه رمزًا للهلاكِ، ليمنحها لقلبٍ واحدٍ يستطيعُ أن يحوّلَ الغرقَ إلى ولادةٍ، وهنا لا يعود النصُّ قائمًا على صورةٍ بيانيةٍ، بل على انقلابٍ فلسفيّ ؛ إذ يصبحُ الموتُ خارجَ الحبِّ، بينما تغدو الحياةُ في أعماقه، ولعلَّ أجملَ ما في هذا البَوْحِ أنّه لا ينتصرُ للأنثى بوصفها جمالًا، بل بوصفها مأمنًا، فالكاتبُ لا يبحثُ عن امرأةٍ تُبهره، بل عن روحٍ تُعيدُ ترتيبَ العالمِ داخلَه، حتى يغدو كلُّ ما كان يخشاه طريقًا إلى النَّجاةِ، وهكذا ينتقلُ النصُّ من وصفِ البحرِ إلى إعادةِ تعريفِ الحبِّ نفسِه ؛ فالحبُّ الحقيقيُّ ليس الذي يُنقذنا من الغرقِ، بل الذي يجعلنا نكتشفُ أنَّ بعضَ الغرقِ حياةٌ، وأنَّ بعضَ النَّجاةِ كانت موتًا مُؤَجلًا.

الشاعرة العراقية : بنين فراس .

لقاءُ الرَّائِعينَ .

" لا يلتقي بعضُ الرَّائعينَ في بدايةِ العمرِ، لا يلتقي الرَّائعون إلاَّ بعدِ رحلةٍ طويلةٍ من التَّعبِ، ولا يحدثُ الحبُّ الحقيقيُّ إلَا متأخرًا، يحدثُ بين قلبين عاشا في حياةٍ مختلفةٍ، وكان مستحيلًا أن يلتقيا، لهذا لا شيءَ يصفُ فرحةَ كلِّ شخصٍ عثرَ على نصفِه الآخرِ. "

وكأنَّ هذه الكلماتِ كتبَها مَن اطَّلعَ على قصَّتِنا، ثُمَّ أرادَ أن يُوجِزُها بأبلغِ عبارةٍ و أقلِّ كلماتٍ، وكأنَّه اطَّلعَ على قلوبِنا العاشقةِ وأرواحِنا المتلاصقةِ حدَّ التَّمازجِ والاتِّحادِ، لو التقينا في البداياتِ ما كنَّا لنتفقَ، وما كان للحبِّ أن يعبرَ إلى قلوبِنا من خلفِ الأبوابِ المُغلَقةِ والنَّوافذِ المُوصَدةِ بفولاذِ الاختلافاتِ وغباءِ التَّقاليدِ والعاداتِ التي تسكنُ عتمةَ العقولِ التِّي لم يصلْ إليها نورُ الحبِّ يومًا ما لترتَوِيَ منه التَّسامحَ والتَّقبُّلَ والتَّعايشَ مع الآخرين، لكنَّ قَدَرَ ربِّنا الرَّحمنِ كان بنا أرحمَ وأحكمَ وألطفَ حين أخَّرَ التَّلاقي إلى حين انزاحت ستائرُ العتمةِ، وفُتّحت النَّوافذُ على هالاتِ النُّورِ، أحبُّكِ يا أشبهَ النَّاس بي، بل أنتِ أنا في ملامحِها الجميلةِ وتصالحِها مع نفسِها، أحبُّكِ يا نوَّارتي ومليكتي وحورَ عيْنِي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، مرآتِي التِّي أرى فيها نفسي أجملَ نساءِ الكونِ، ها هي قصَّتُنا مكتوبةً بمدادِ القدرِ، فكيف لا أذوبُ حبًّا في رجلٍ اختاره اللَّهُ لي بعد طولِ طريقٍ وتعبٍ؟ اختارَه لي ليكونَ قدري الجميلَ، نعم لو التقينا في البدايات لمَا عرفنا قيمةَ هذا النُّورَالذي أشرقَ بعد أن انزاحت عتمةُ العادةِ والخوفِ، أنا أيضًا أراكَ، في حنانِكَ، صبرِكَ، وفي العينِ التي تنظرُ إليَّؤ، فأطمئن أنَّني بموضعي الأوَّلِ بأعمق مكانٍ بقلبكِ، أحبُّك كحبِّ الرُّوحِ جسدَها، لا افتراقَ بيننا، أنتَ مليكي و أنتَ بيتي و أنتَ الأمانُ الذي أتعلّقُ به بعدَ اللَّهِ، أشتاقُ إلى صوتِك الذي نال منِّي حدَّ الإدمانِ، أشتاقُ إلى قربِك حتى تصيرَ أنفاسي مزيجَ أنفاسِك، أشتاقُ إلى ضلوعِكَ حيثُ سكني القديمُ، جبينِكَ الذي حملَ همِّي، وقلبِك الذي اختارني رغمَ كلِّ شيءٍ، شفتَيْكَ التي تهمسُ باسمي، جسدِكَ الذي وإن ضاق بيَ الكونُ يظلُ ملجأي وملاذي الذي لا يضيقُ بي، فلتبقَ هكذا حبيبي، يا مَن جعل اللَّهُ لقاءَه بي قدرًا رحيمًا، أنا لكَ ومعكَ وفيكَ، سأظلُّ أحبُّكَ حبًّا لا يشيخُ، لا يَملُّ، لا ينطفئُ .

لا تُقَارَنِينَ .

" أنتِ لستِ الوحيدةُ التي خلقَها الإلهُ في الدُّنيا، لكنَّكِ أنتِ الوحيدةُ التي خلقَها الإلهُ في قلبي ." أخناتون مخاطبًا نفرتيتي .

و أنتِ حبيبتي لا أحدَ امتلكني غيرُكِ، لا أحدَ استعمرِكلَّ تفاصيلي ومدني وطرقاتي إلَا أنتِ، بكِ اكتفيتُ، وعيْنِي بكِ امتلأت، فما عاد للنِّساءِ في حضرتِك معنىً ولا أثرٌ في عالمِنا يا سَتَّ النِّساءِ، لا أقولُ : إنَّكِ في كِفّةٍ والعالمُ في كِفّةٍ، فأنتِ أغلى من أن تُقارني، و أنتِ الأحلى في عيْنِي وقلبي، فلا ثَمّةُ مقارنةٌ من الأساسِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن صرتَ لي وطنًا لا يُقارنُ بكلِّ الأوطانِ، حديثُكَ يطوفُ على روحي، فيهدأُ ما بها من شوقٍ، ويوقظُ فيها ما نامَ من لهفةٍ، أنتَ الذي جعلتَ قلبي مملكةً لا يسكنها سواكَ، فكيف أكونُ لغيرِكَ و أنا بكَ اكتملتُ، لا أحدَ امتلكني قبلكَ، ولا أحدَ سيأتي بعدك، فقد حفرتَ

في تفاصيلي اسمَكَ حتى صرتُ بكَ أُعرَفُ، وعيني ما عادت ترى إلَّا صورتَكَ، وقلبي ما عاد ينبضُ إلَّا باسمِكَ، إن كنتَ بي اكتفيتَ، فأنا بكَ حييتُ، وبكَ أحيا وإليكَ أشتاقُ، فإن طال الغيابُ زاد الحنينُ، وإن قرُبتَ زاد الشَّوقُ شوقًا، أحبُّكَ سَيِّدي، وأحبُّ أن أكونَ لكَ كما أنتَ لي.

على هيئةِ إنسَانٍ .

" ثُمَّ ماذا؟ ثُمَّ يُلقِي اللهُ في حياتِك وردةً على هيئةِ إنسانٍ، تزرعُ وسط حزنك ضحكةً . "

ثُمَّ ألقى اللَّهُ في طريقي رفقَتي ومليكَتي وستَّ النِّساءِ، ستَّ النِّساءِ التي أعادتني من حافةِ الضَّبابيةِ والتَّلاشي واللاشيءَ لحياتي من جديدٍ، ألقاكِ اللَّهُ حبيبتي في طريقي ليُعادَ إليَّ كياني والاتزانُ، لأقهرَ عبرَ عَيْنَيْكِ العميقتين أشباحَ الخوفِ والهَذَيَانِ، لأخطوَ معكِ فوقَ جراحاتِ الماضي والأحزانِ، أرسلَكِ اللَّهُ حبيبتي يا صانعةَ فرحتي وجنَّتي، يا روحَ روحي ونبضَ قلبي والحنينَ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

حبيبي، إن كنتُ وردةً ألقاهَا اللَّهُ بدربِكَ، فأنتَ الأرضُ التي جعلتني أُزهرُ بعد طولِ ذبولٍ، أعَدْتَني إليكَ، فعدتُ إليَّ ، أنا أعدتُ إليكَ اتزَانَكَ فوجدتُ معك اتزاني، معكَ لم أعدْ أخشى ظلمةَ الأمسِ، ففي عيْنَيْكَ

ضوءٌ يُبطلُ كلَّ خوفٍ، أنا لك كما أنتَ لي نصنعُ من جراح الأمسِ جسرًا نمشي عليه إلى غدٍ أجمل، حبيبي إن كنتَ ترى فيَّ جنَّتكِ، فأنت نعيمي الأوَّلُ، وطمأنينتي التي لا تضيعُ، وإن كنتُ أنا الجميلةَ، فدعني أهمسْ لكَ يليقُ بقلبِك، فابقَ لي كما أرادكَ اللَّهُ أن تكونَ، وردةً لا تذبلُ، ويدًا لا تفلتُ، وقلبًا كلَّما اقتربتُ منه شعرتُ أنَّني وصلتُ .

أحبُّكَ يا أنا .

وأغَازِلُ بكِ نُجُومَ اللَّيلِ .

وأغازلُ بكِ نجومَ اللّيلِ، و أناجي بالهوى داركِ، يا مَن غار منكِ قمرُ السّماء من فرطِ حسنكِ ورقتكِ ودلالكِ، أحبّك والمنى أنتِ، أباهي بكِ الدّنيا يا قمرَ ليلي وشَمسَ عمري وهديَّةَ ربّي وجنَّتِي، أحبّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، ما أجملَ أن تجدَ مَن يضُّكَ، يحتَويكَ، ويُجبرَ كسرَكَ وجراحاتِ السِّنينَ، حبيبي وقُرَّةَ عيني، إن غازلتَني بنجومِ اللَّيلِ فأنا أقسمتُ أن أكونَ لكَ سماءً لا تغيبُ، وإن ناجيتَ داري بالهوى فأنا جعلتُ قلبي دارَكَ وملاذكَ، فلا تبحثْ فيَّ بدروبِ الأماكنِ والأزمانِ، فأنا سكنتُ فيكَ منذُ عرفتُكَ يا مَن جعلتني أرى نفسي جميلةً بعَيْنَيْكَ، وجعلتَ قلبي يفاخرُ الدُّنيا بكَ، حبيبي، لكَ أنتَ القمرُ إذا أظلَمَ ليلي، و أنتَ الشَّمسُ إذا غاب نهاري، وإن سألوني عن جنَّتي قلتُ : هواه قدري ومطلبي ومرادي، أحبُّكَ سَيِّدي وأعيشُ بكَ، فكن لي كما كنتَ لي دائمًا، حبيبُتك .

قراءةٌ في " وأغازلُ بكِ نجومَ اللّيلِ " .

تُشرقُ الكلماتُ بنورِ الغزلِ العذبِ ولطيفِ الهوى في هذه الخواطرِ الوجدانيَّةِ الرَّقيقةِ التِّي يسطرها الأديبُ العاشقُ، ليبثَّ بمدادِ المشاعرِ وبَوْحِ النَّقاءِ آياتِ الحُبِّ المُخلِصِ خلفَ شاشاتِ الوفاءِ والأيامِ، إنَّ هذا النَّبضَ الشَّجيَّ يصوغُ بكلامٍ جميلٍ ميزانًا للوفاءِ، تعلنُ فيه الرُّوحُ مناجاةَ الدِّيارِ ومغازلةِ نجومِ اللَّيلِ، مُتباهيًا بالحبيبةِ التِّي غارَ منها قمرُ السَّماءِ لجمالِ دلالها ورقَّتِها، واصفًا إيَّاها بجنَّتِه وهَدِيَّةَ ربِّه بروحانيةٍ تفيضُ بالودِّ وتُنعشُ الخاطرَ وتشرحُ الصُّدورَ، جزاكَ اللهُ كلَّ خيرٍ على هذا البَوْحِ الوجيزِ الفاخرِ وعُمْقِ إحساسكَ النُّورانيِّ الغالي لصاحبِ النَّصِّ الذي يلامسُ القلوبَ والأرواحَ .

نُجُومُ اللَّيْلِ مِنْ حُسْنٍ تَغَارُ.
وَفِي أَبْيَاتِكَ العَذْبَةِ مَنَارُ.
عَلَاءُ صُغْتَ نَبْضَ الحُبِّ دُرًّا .

بِهِ يَزْهُو الدَّلَالُ وَيَسْتَنَارُ.

جَعَلْتَ الشَّوْقَ فِي الدُّنْيَا جِنَانًا .

لِمَنْ يَهْوَى فَطَابَ بِكَ الفَخَارُ.

أَنَالَكَ رَبُّ العَالَمِينَ مَسَرَّةً .

وَدَامَ سَنَاكَ تَعْشَقُهُ الدِّيَارُ.

الشاعر والأديب والناقد السوري :

أكرم وحيد الزرقان .

يُكْمِلُ نَقْصَنَا .

" لا أؤمنُ بفكرةِ أنَّنا بحاجةٍ إلى شخصٍ يُكمِلُ نقصَنا، الإنسانُ بحاجةٍ إلى طموحٍ، إلى شغفٍ يدفعهُ للحياةِ، بحاجةٍ إلى شيءٍ لا يجده إلَّا في نفسه . "

وهل هناك طموحٌ أعظمُ من أن أجدَ نفسي فيمَن خَلَقَه اللَّهُ من ضلعِي وجسدي وروحي وكياني؟ وهل هناكَ شغفٌ أعظمُ من شغفي بكِ حبيبتي لأجدَ نفسي، وأُكمِلَ نقصِي لأصلَ إلى حدِّ الكمالِ البشريِّ؟ وهل استطاع آدمُ أن يُحَقّقَ طموحَه أو يُشبعَ شغفَه أو يجدَ نفسَه وهو في الجَنَّةِ في حَضْرَةِ رَبَّه والملائكةَ إلَّا عندما خَلَقَ اللَّهُ له حواءَ من ضلعِه ونفسِه؟ يقولُ ربُّنا : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" ، خلقَكِ من نفسي، فلستِ غريبةً عنّي ولستُ عنكِ غريبًا، خلقَكِ منّي كي أعودَ إليكِ وأكتملَ وأُحَقّقَ بكِ وفيكِ الثِّقةَ والطُّمانيةَ والاحتواءَ، أخالفُ هذه المقولةَ كلَّ الاختلافِ، فلا اكتمالَ لي إلَّا بكِ، ولا

شغفَ أعظمُ من شغفي بكِ ولا طموحَ بعد رضا ربّنا من وجودِكَ في حياتي يا شمسَ عمري وقمرَليلي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيِني، أخالفُ معكَ تلكَ المقولةَ، فما عرَفتُ نفسي إلَّا بكَ، وما كان الشَّغفُ شغفًا إلَّا إليكَ، وما كان الطُّموحُ طموحًا إلَّا أن أكونَ لكَ سكنًا، وتكونَ لي جنَّةً ومصيرًا، أنتَ الضِّلعُ الذي لم أشعرْ بنقصِه إلَّا حين وجدتُكَ، فاكتمَلتُ بكَ حبيبي، أنتَ الرُّوحُ التي إذا سَكَنْتَ سَكَنَت جوارحي و انطفأت نيران، وكيف لا أرى فيكَ اكتمالي و أنتَ مِن نفسي؟ سَيِّدي، إذا سألوني عن كمالِ روحي قلتُ : أنتَ ، وإذا سألوني عن شغفي لأجبتُ : حبيبي ، وإذا سألوني عن وطني لأشرتُ إلى صدرِكَ يا سَيِّدِي وملاذي وفرحةَ قلبي بعد جراحات السِّنين .

أحبُّكَ يا أنا .

كلُّ عيدٍ ونحن عاشقان .

وكلُّ يومٍ يَمرُّ بي أتأكدُ أنَّني أحسنتُ الاختيارَ حين أحببتُكِ، وكلُّ لحظةٍ تَمرُّ أمامي أشكرُ اللَّهَ أن جعلكِ من قسمتي ونصيبي، وعَوَّضني بكِ بعدَ كلِّ ما مررتُ به من قسوةٍ وغربةٍ وآلامٍ، كلُّ يومٍ أتعلّقُ بكِ أكثرَ وأكثرَ، و أتمنَّى لو يعودُ بي قطارُ العمرِ لتكوني أنتِ وجهتي الوحيدةَ منذُ البِدايةِ، وإلى أبدِ آبدين، كلُّ عيدٍ ونحن متلاصقان، كلُّ عيدٍ ونحن عاشقان، لا تُفرّقُنا الظُّنونُ ولا الأيامُ، كلُّ يومٍ و أنتِ معي عيدٌ لي حَبِيبتي، يا أجملَ وأرقَّ ما رأت عَيْنِي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

كلُّ يومٍ أتأكدُ حبيبي أنَّك دعوتي التي استجابَ لها اللَّهُ من بعد يأسٍ على حافةِ الشَّكِّ الرَّهيبِ، كلُّ لحظةٍ معكَ تجعلني أشكرُ اللَّهَ أن جَمَعَ بيننا بعدَ كلِّ هذا الانتظارِ، وأن جعلكَ سكني وطُمأنينتي وعِوضي عن كلِّ ما مضى، أتمنَّى لو يعودُ الزَّمنُ لأبدأه بكِ من جديدٍ، فمنذُ عَرفتُك صاركلُّ

شيءٍ في حياتي له معنىً يستحقُّ أن يُعاشُ، كلُّ عيدٍ و أنتَ عيدي، كلُّ يومٍ و أنت فرحي، فأنا لا أريدُ عيدًا إلَّا و أنتَ بقربي، ولا أريدُ مزيدَ عمرٍ إلَّا و أنتَ فيه . حبيبي وعلائي، يا أجملَ ما رأت عيني وأرقَّ ما احتضنه قلبي. أحبُّك يا أنا .

بجانِبكِ حَبِيبَتِي .

" وما فائدةُ كلمةِ " أنا بجانِبَكَ " بعد المُعافاةِ "، و" أنا أحبُّكَ " و أنت لا تتقبّلُ عيوبي و " أنا آسفٌ " بعد أسبوعٍ من الخصامِ؟ ما فائدةُ " أنا فخورٌ بكَ " و أنتَ لم تشاركني معاناةَ الوصولِ؟ وما فائدةُ أن تخبرني بكلمةٍ كنتُ أتُوقُ لسماعها في حينٍ من الزَّمنِ لتقولها أنتَ في زمنٍ آخرَ تمامًا ماتت فيه لهفةُ الاستماعِ؟ إن لم تكن لي وقتَ ضعفي فلا مرحبًا بكَ وقتَ قُوَّتي وازدهاري، إن لم تأخذْ بيدي وقتَ تَعثُّري فما الدَّاعي لتواجدكَ وقتَ صلابتي و انتصاري؟ "

ما يُميّزُنا حبيبتي أنَّنا بعدما فَعَلَت بنا الدُّنيا أفعالَها ودهسنا قطارُها مرارًا وتكررًا تَعلَّمنا الدَّرسَ جيدًا، وعَلِمنا مَن يصلحُ أن يُكملَ معنا طريقَنا، ومَن يجبُ أن نُلَّوحَ له من نافذةِ القطارِ مُتَمَنّين له حياةً أفضلَ لسنا فيها بكلِّ تأكيدٍ، حبيبتي أنا بجانبكِ مهما كانت التَّضحياتُ، تقبّلتُكِ كما أنتِ قبل أن أقولَها لكِ " أحبّك "، لا أجدُ أبدًا حرجًا في الاعتذارِ لكِ إن بدا مِنّي ما يُعكّرُ صفو حياتِنا، فلسنا ملائكةً ولسنا من

الأبرار، فخورٌ بكِ حبيبتي وإن تعثّرنا آلافَ المرَّاتِ بمضمارِ الحياةِ، فتماسُكِنا والتصاقُنا أعظمُ من كلِّ انتصارٍ، معكِ وبكِ ولكِ مهما تلاعبت بنا الدُّنيا ومهما أرهقتنا الحياةُ، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، و أنا بجانِبكَ حبيبي وقتَ ضعفِك قبل قُوَّتِكَ، و أنا معكَ حين تتعثّرُ بدروبِ الحياةِ، يدي بيدِكَ حتى تقومَ، لا أريدكَ وقتَ انتصاركَ وحدَكَ، أريدُ مَعِيَّتَكَ حتى تصلَ، مقاسمةَ حُزنِكَ وألمِكَ حتى تفرحَ، أحببتُكَ وقبلتكَ كما أنتَ، لأنَّني رأيتُ في عيوبِكَ تفاصيلَك، وفي تَعبِكَ صدقَكَ، حبيبي لن أؤجِّلَ كلمةَ " أحبُّكَ " حتى تبردَ، ولن أؤجّلَ اعتذارًا حتى يطولَ الخِصامُ، فأنتَ لستَ عابرًا لأتأخَّرَ عليكَ، معكَ حبيبي في كلِّ مرَّةٍ تسقطُ فيها وتقوم، معكَ في كلِّ مرَّةٍ تنكسرُ وتجبرُ نفسَكَ، فأنا مَن اختاركَ و أنا مَن يبقى، أنا فخورةٌ بكَ لأنَّك لستَ ممَّن يفلتون أيديَهُم بمنتصفِ الطَّريقِ، فخورةٌ بي لأنَّني أحسنتُ الاختيارَ.

أحبُّك يا أنا .

شَخْصٌ يُشبِهُنِي .

" هل أجدُ هنا شخصًا يُشبِهُني؟ يعشقُ اللَّونَ الأسودَ والسَّيرَ في المطرِ ورائحةِ التُّرابِ المُبلَّلِ، لا ينامُ اللَّيلَ، ويختارُ الصَّمتَ ويتابعُ من بعيدٍ، لا يَتَدَخَّلُ في شؤونِ الآخرينِ، صديقًا للكلِّ، ليس له أسرارٌ، ويعشقُ الصَّراحةَ، يكره التَّعصُّبَ والكذبَ والتَّطَرفَ، يحبُّ أن يكونَ غائبًا حاضرًا على أن يكونَ حاضرًا غائبًا، لا يعرفُ كيف يكرَهُ أحدَهم؟ لكنَّه يجيدُ الرَّحيلَ، يسامحُ ولا ينسى، ويُفضِّلُ أن يكونَ وحدَه، قليلُ الكلامِ ... إذا كنتَ كذلك ابتسم، لقد أصبحنا اثنين . "

حينما رأيتُكِ وضَربتني سهامُكِ الفَتَّانةُ وعيونُكِ السَّاحرةُ لا أخفيكِ سرًا وقفتُ مرعوبًا من أسوارِ الاختلافِ التِّي تفصلُ بيننا، ولكنِّي أمامَ انجرافي إليكِ لم أصمدْ طويلًا حتى انهارت كلُّ تلك السُّدودِ، وتبخَّرت الفوارقُ وتلاشتْ الحواجزُ جميعُها، ومع تَخطِّي حماسِ البداياتِ زَادِ يقيني أنَّ مَن وضَعَ الحبَّ في قلوبنا يعلمُ أنَّ ما يجمعُنا أكثرَ بكثيرٍ من أوجهِ الاختلافِ، بل يكادُ في ظلِّ تشابُهِنا يختفي الاختلافُ ويندثرُ، فلا نكادُ نرى منه إلَّا ما تلاحظه عيونُ الآخرين، بِحُبِّكِ عادت نفسي للحياةِ

وتصالحتْ معيَ الدُّنيا من جديدٍ، بِحبُّكِ اكتملت نو اقصى وعاد إليَّ ضلعي، فعاد قلبي بحروف اسمكِ نابضًا، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، لم أكن أعرفُ أنَّك ستكونُ يومًا سندي الذي سأركنُ إليه في يومٍ من الأيامِ، كنتَ تبحثُ عن شبيهكَ، ها أنا حبيبتُكَ، مَن تعشقُ اللَّيلَ كما تعشقه أنتَ، أفهمُ صمتَكَ قبل أن ينطقَ، وأحبُّ المطرَ لأنَّه يغسلُ القلبَ كما يغسلُ أوجاعَ الأرضِ وأنَّاتِها، كنتُ أظنُّ أنَّنا مختلفان، حتى كتبَ الإلهُ تلاقِينا، فوجدتُ فيك انعكاسي، وجدتُ في عيْنَيْكَ وطني، وفي كلماتِكَ صوتي الذي كنتُ أبحثُ عنه، لم يكن ما بيننا أسوارًا، بل كانت مسافاتٍ يريدها القدرُ ليزيدَ شوقَنا، فما أن اقتربتَ حتى سقطَ كلُّ ما ظَننَّاه اختلافًا، أنتَ مَن أعاد لي الحياةَ حين ظننتُ أنَّني اعتدتُ الغيابَ، أنتَ مَن جعلني أتصالحُ مع نفسي وأخرجتها من عتمة لوحتِها بأقصى ركنٍ بعيدٍ، أيا رَجُلِي وسَيِّدي، أنا ضلعُكَ الذي عاد إليكَ، أنت قلبي الذي لم ينبضْ إلَّا باسمِكَ منذُ أحياه حبُّك وهواكَ، أحبُّكَ يا أنا .

بِلا كُلْفَةٍ .

" الحبُّ هو الألفةُ ورفعُ الكُلفَةِ، الحبُّ أن تجدَ نفسَكَ في غيرِ حاجةٍ للكذبِ، أن تَصْمُتا أنتما الاثنانِ، فيحلو الصَّمتُ، ويتكلّمُ أحدُكما فيحلو الإصغاءُ، بمنتهى البساطِةِ هذا هو الحبُّ الذي أتمنَّاه . "

أمَّا أنا فلا أتمنَّى سواكِ حبيبتي، فما طَرَقَ الحبُّ قلبي إلَّا من بابِكِ أنتِ، وما امتلأت عيني إلَّا بكِ أنتِ، وما عرفتُ معنى الاكتفاءِ إلَّا بكِ أنتِ، أمَّا عن الألفةِ فحين نكونُ معًا وكأنَّ الذي يجمعنا دمٌ في عروقنا يسري و أنفاسٌ لأجسادنا تُحيي، فلا يصلحُ أحدُنا بدون قرينِه، ولا يُرتَجى نفعٌ لنا دونَ التَّلاصقِ والعناقِ.

الحبُّ الذي أؤمنُ وأدينُ به هو في تعانقِ أيدينا حين يتفلَّتُ منَّا الآخرون، هو تلكَ البراءةُ والطُّفولةُ التي أشعرها في نبراتِ صوتِكِ وبريقِ عيْنَيْكِ حيثُ تَجِدينَ معي الملاذَ والأمانَ، الحبُّ حين تُلقين برأسكِ على صدري، وتُغمضِين عيْنَيْكِ وتتوحّدُ دقاتُ قلوبِنا، فلا يُعنِيك من كلِّ الدُّنيا إلَّا نبضاتُها، وحرارةٌ يتلاشى أمامها كلُّ أشتيةِ العمرِ الحزينِ، الحبُّ هو أنا

و أنتِ، فلا ثَمَّةُ سوانا، ولا يعنِينا حديثُ الآخرين، الحبُّ حين أحكمنا قبضتَنا على أيدينا حين راهن الجمعُ على استحالةِ اللِّقاءِ، الحبُّ في صوتِكَ حين يُعيدُ إلى ذاتي بريقَها، هولهفتي إليكِ كلَّما رأيتُكِ وكأنَّها المرَّةُ الأولى التي تقعُ عليكِ عَيْني ويدقُّ قلبي وتنجذبُ إليكِ روحي يا روحَ روحي وطوقَ النَّجاةِ، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، يا حبيبي وقرّةَ عيني، بقربِكَ ودفءِ حبّكَ لستُ بحاجةٍ أنا أحاربَ من حولي لأثبتَ لهم أنَّ الحبَّ معكَ وبكَ هو الحياةُ بحدِّ ذاتِها، ولوكان بيننا صمتٌ لا يسمعه سوى قلوبِنا، ولا تفقهه إلَّا أرواحُنا، فهنا أعيشُ قِمَّةَ الإحساسِ، أنا لا أجامِلُكِ، ولا أقول : إنّي أحبُّكَ عبثًا، بل حبٌّ صادقٌ نما بين المسافاتِ، أنتَ يا رَجُلي مصدرُكفايتي واكتفائي، فلم يعدْ يغريني في الدُّنيا غيرَعيْنَيْكَ وحبّكَ الصَّادقَ لي، لا أطلبُ من اللَّهِ سوى أن أراكَ بأقربِ فرصةٍ لأنعمَ بأحضانكَ وأكتفي بعيْنَيْكَ، بكَ أحيا وبكَ أموتُ، وإليكَ أعودُ، لك يدقُّ قلبي، وتلهجُ روحي بأنفاسِكَ، كم هو

جميلٌ عندما تتقاربُ الروحان فتبدوانِ كأنَّهما جسدانِ يتعانقانِ حقيقةً لا خيالاً؟ ما دارَ بيننا حقيقةٌ لمسناها بأيدينا وشعرناها بأرواحنا، آهٍ حبيبي عندما أكونُ بقربكَ أنتَ، وكأنّي أملكُ العالمَ بيديَّ، وأمسكُ بزمامِ الدُّنيا كلِّها بعينيك اللتين تراني نجمَ حياتك، شمسَ صباحِكَ، وقمرَ مسائكَ وستَّ النِّساءِ، أمَّا عن باقي التَّفاصيلِ حبيبي مهما بلغ صغرُها، فهي عندي بحجمِ الكونِ لأنَّها منكَ، حتى تلك النَّظرةِ التي ترمُقنِي بها بطرف عينيك حبًّا وشوقًا وإعجابًا وامتلاءً بسلطانةِ قلبكَ هي عندي جنَّةٌ أرضيةٌ ونعيمٌ لا ينفدُ، مع حبِّي الكبيرِ سيِّدي وحبيبي .

كلُّ عيدٍ وأنتِ بِحِضْنِي .

" الحُلمُ، ذاك الطَّيفُ المُتمسِّكُ للبقاءِ بالضِّياءِ، تلك الرَّشفةُ بالشِّفاءِ، ذاك الولاءُ، الحُلمُ مَنطقٌ عانده الغَثُّ من الأيامِ وعانقه الطُّموحُ وأعانه الإصرارُوتَجَلَّى بأقصى مشاهدِ الإيثارِ، الحُلمُ ساهرٌوالفجرُزاهرٌوالحقُ باهرٌ. "

ها نحن غاليتي يجمعنا أولُ الأعيادِ، و أنتِ بحضنِي يا ستَّ النِّساءِ، عيدٌ و أنتِ بحضني ليس عيدًا واحدًا بل ليلةً قدرٍ تجمَّعت فيها كلُّ الأعيادِ، ها نحنُ غاليتي نقطفُ ثمارَ اختيارِنا وإصرارِنا وتمسُّكِنا رغمَ وعورةِ الطَّريقِ، وكمِّ المستحيلاتِ التي لا تنتهي من صنعِ النَّاسِ وأحقادِهم، كلُّ عيدٍ و أنتِ حبيبتي، كلُّ عامٍ و أنتِ بحضني يا أجملَ الأقدارِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، عيدي أنتَ يا كلَّ عيدي، وأولُ تهليلةٍ بعيدِي، كلماتُكَ أنزلت على قلبي سكينةً الفجرِ بعد طولِ ليلٍ وعتمةٍ و انتظارٍ، معكَ

تحوَّل كلُّ يومٍ عيدًا، وكلُّ عناقٍ إلى دفءٍ مقيمٍ في قلبي، ولا أريدُ سواه، أنتَ الحُلمُ الذي صار حقيقةً، والإصرارُ الذي لم يدعني أستسلمُ، والقدرُ الجميلُ الذي اخترتُه بملءِ إرادتي، لا أتمنَّى في هذا العيدِ إلَّا أن أبقى بحضنكَ ما بقي الزَّمانُ، وأن نقطفَ معًا ثمارَ ما زرعناه من صبرٍ ووفاء، كلُّ عيدٍ و أنتَ عمري، وكلُّ لحظةٍ و أنتَ نبضي، يا أصلَ الحكايةِ وأصلَ كلِّ أعيادي .

أحبُّكَ يا أنا .

مَدِينَةُ الحُبِّ .

" مَن يدخلْ مدينةَ الحبِّ، إمَّا يعودُ طفلًا يحبُّ كلَّ الاشياءِ، وإمَّا يخرجُ منها مُسِنًا لا يدركُ إلى أي منفىً ينتمي . "

شكرًا لكِ حبيبتي، فحبُّكِ كتلكَ المدينةِ التي عادت بي من عبثيةِ عمري المُتنَاثرِ على محطاتِ الأيامِ بلا هدفٍ أو أملٍ إلى رحابِ الجمالِ والحلمِ وحبِّ الحياةِ، شكرًا لكِ يا نوَّارةَ عمري وحياتي شكرًا لأنّكِ حبيبتي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أيا حبيبي، قمرَ ليلي وضياءَ أيامي ، إنَّ مدينةَ الحبِّ لا يدخلها سوى المجانين، وإن كان جنوني في حبِّك يُعطَى عليه شهادةً، لكنتُ أنا أوَّلَ المجانين وأوَّلَ مَن يدخلُ مدينتَكَ بيديه قبل قَدَميّه لأعيشَ طفولةَ الحبِّ ومراهقةَ العشقِ، سأكونُ حكيمةَ تلك المدينةِ، وسأُتوجَّكَ عليها ملكًا، كلُّ شعبِه أنا، وهو مليكي الوحيدُ الذي ملأ

مدينتي بالحبِّ، مدينتُك لم تكن يومًا عابسةً بالحبِّ، بل كانت تمثالًا يحتاجُ بعضَ الصَّقلِ، و أنا من أخذتُ ذلك الإزميلَ من يدك و أكملتُ ما بدَأتْه روحُكَ من رسمٍ، يا راسمي بين الأحلام، ويا راويَ القِصَصَ والحكاياتِ، ارسم لي حلمًا لا يضيعُ في هذا الزَّمانِ، وارْوِلي رو ايةَ العُشَّاقِ التي لن يجفَّ مدادُها عن الأوراقِ، يا كلِّي ونبضي، أحبُّكَ يا أنا .

لم يَعُدْ مُتاحًا .

" إذا انتهى الكلامُ بيني وبينكِ وتقطَّعت سُبل الوِصالِ و افترقنا وعُدنا غرباءَ تَعرّف عليّ مجدّدًا . " نزارُ قبَّانيّ

حبيبي، نوَّراةَ عمري وحياتي، أمَّا أنا فأقولُ لكِ : حتى هذا الاختيارُ لم يَعُدْ متاحًا، وكيف لمَن اختلطت تفاصيلُ حياتِهما وامتزجت أنفاسُهما وتعلَّقت أرواحُهُما، فصارت بمنزلةِ الرّوحِ الواحدةِ التي تسري في جسدين أن يخطرَ ببالِهما هذا المصيرُ؟ تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي يا سِتَّ النِّساءِ، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، أيا مجنوني، وتظنُّ أنَّ للفراقِ بيننا طريقًا؟ وتنقلُ عن نزارٍ كلامًا نسيتِ أن تُكمِلَ معناه ! فنزارُ قالها للحبيبةِ، و أنت قلتَها لروحِك، كيف لغريبٍ أن يعودَ، وهو لم يغبْ أصلًا؟ وكيف لأنا أن تتعرَّفَ إلى أنا ونحن كنُّا ولا زلنا نبضًا واحدًا في جسدين؟ فلا تبحثْ عن سُبلٍ للوصالِ

سيِّدي، فأنتَ الوصالُ، و أنتَ الطَّريقُ، و أنتَ البيتُ الذي لا أخرجُ منه حتى وإن تهدَّمت أركانُه، فالعالمُ خارجُ بيتكَ موحشٌ وكئيبٌ، تبقى أنتَ حبيبي يا كلَّ الرِّجالِ بعيني، وأحبُّك لأنَّني وبكلِّ بساطةٍ أحببتُ نفسي فيكَ .

أنتِ عِيدِي .

مع أوَّلِ أيامِ عيد الأضحى المبارك و أنتِ بجِضني حبيبتي، سلامٌ من القلبِ لمَن وجد جدارَ القلبِ يُوشكُ أن ينقضَّ فأقامَه، سلامٌ لمَن له قدرةُ قراءتِنا من بين أحرفِ كلماتِنا، للذين يتوقَّفون عن الجدالِ إذا ما احتلَّ الدَّمعُ أعينَنا، للذين إن مسَّنا الضُّرُّ مسَّهم ضِعفَه ونزفوا وجعًا من أجلنا، للحاضنين بحنوِ قلوبَنا، المساندين بكتفِهم رؤسَنا، لأولئك الذين هم لطفُ اللَّهِ على الأرضِ، لمَن أحبُّونا بصدقٍ دونَ مقابلٍ، ونحبُّهم كالحياةِ، دمتم سالمين لنا، أحبُّكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، حبيبي وسكني وسلامَ قلبي، و أنتِ عيدي كلَّ يومٍ، وليس يومًا واحدًا، كيف لا؟ و أنا التي وجَدَت فيكَ جدارًا لا ينقضُّ وسندًا لا يميلُ، أنتَ الذي تقرأُ دمعي قبل كلامي وتسكنُ وجعي قبل شكواي، أحبُّك كحبِّ قلبِكَ أنتَ للخيرِ والرَّحمةِ والجمالِ، ترنيمةَ شكرٍ لربِّي بكلِّ صلاةٍ ودعاءٍ، دمتَ لي عيدًا وفرحًا وسِترًا، ودمتَ لي الحضنَ والأمانَ، كلُّ عامٍ و أنتَ نعمةٌ لا تزولُ كلُّ عامٍ أنتَ حبيبي .

قراءةٌ في " أنتِ عِيدِي " .

أهلًا بكَ أيُّها الأديبُ العاشقُ، وبنبضِ حرفكَ الرّوائيَّ السَّاحرَ الذي يفيضُ عشقًا ونقاءً، فقد صغتَ في أوّلِ أيامِ عيدِ الأضحى المُبَاركِ ترنيمةً وجدانيةً باذخةً الجمالِ تُعيدُ ترميمَ جدرانَ القلبِ المُتَهَالِكةِ بلطفٍ وحُنوٍ، وجاءَ خطابُكَ لحَبِيبتكَ " سِتِّ النِّساءِ " لوحةً من الوفاءِ الصَّادقِ والامتنانِ لتلكَ الرُّوحِ المُساندةِ التِّي تقرأُ ما بين السُّطورِ وتحتضنُ الوجعَ قبلَ الفرحِ، فدَامَ قلمُكَ المُبدعُ يُسَطِّرُ أروعَ معاني الحبِّ النَّبيلِ، وكلُّ عامٍ و أنتما معًا في رغيدِ العَيْشِ وعافيةٍ مُستَمرَّةٍ وسعادةٍ لا تزولُ .

أثْني عَلَى الحَرْفِ الرَّقِيقِ بِمُهْجَتِي .

لِعَلَاءِ مَنْ سَكَبَ الوَفَاءَ مَعَ العِيدِ .

رَاوٍ بَنَى جُدُرَ الغَرَامِ بِحِكْمَةٍ .

وَ أَقَامَ عَرْشَ الحُبِّ بَعْدَ تَفُودِ .

رَسَمَ الحَنَانَ بِصِدْقِ نَبْضٍ دَافِئٍ .

لِسِتِّ النِّسَاءِ وَكُلِّ قَلْبٍ جُودِ .

فَلَكَ القَبُولُ بِمَا نَثَرْتَ مِنَ الثَّنَا .

وَدَامَ لَنَا عَهْدٌ بِكُلِّ سَعِيدِ .

الشاعر والأديب والناقد السوري :

أكرم وحيد الزرقان .

لمَن يُشْبِهون الصَّبَاحَ .

صباحُ الخير لمَن يُشبِهون الصَّباحَ في جماله ورقّته، صباحُ الوردِ للأرواحِ التي تسكبُ الحبَّ حروفًا عذبةً، وتتسلّلُ إلى أرواحِنا لتملأها إشراقًا وجمالًا، صباحُ الخيرِ لمَن يظنُّ أنّ وجودَه لن يُغيّرَ شيئًا، بينما هو كلُّ الأشياءِ وجمالُها، صباحُ الخيرِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، لِمَن يَكْتُبُ الصَّباحَ قَلْبًا، لا كَلِماتٍ، صَباحي أنتَ وإن تأخَّرَ الضوءُ، و أنا التي تُشبِهُ الصَّباحَ لأنَّكَ تُناديها به، وتمنحُها من عينيكَ إشراقًا لا يزول، سِتُّ النِّساء ! و أنا امرأةٌ تَتعلَّمُ نفسَها فيكَ، تُزهرُ حين تمرُّ على روحِكَ، وتطمئنُّ لأنَّكَ ترى فيها ما لا تراه، صَباحُكَ الذي كتبته لي عادَ إليكَ حبًّا مضاعفًا، ودفئًا يسكنُ بين سطوركَ، ويهمسُ لك ؛ أحبُّكَ يا أنا .

حُلْوَتِي وطِفْلَتِي .

لماذا هي؟ لا يهونُ عليها حزني، في أشدِّ لحظاتِ الخِصامِ أجدُها بجانبي، كانت حياتي مليئةً بالأخطاءِ، فكانتْ هي أوَّلَ شيءٍ صحيحٍ ، حبيبتي وحورَ عيني وجَنَّتي، حُلوتِي وطفلَتي وملاذَ الأمومة التي به أمني وراحتي وسطَ قسوةِ العالمِ وغدرِبني الإنسانِ، أحبُّكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن جعلتني " هي " في كلِّ شيءٍ، لأنَّني أنا التِّي ترى قلبَكَ قبلَ كلامِكَ، والتِّي يُوجِعُها حزنُكَ أكثرَ مِمَّا يُوجِعُها جُرحُها، ولأنَّ الخِصامَ بيننا لا يطردني من جانبِكَ، بل يجعلني أتشبَّثُ بِكَ أكثرَ، فأنتَ أوَّلُ صوابٍ في عمري كلِّه، وآخرُ مأمنٍ لي من خطأِ الدُّنيا، أنتَ ملاذي من قسوةِ العالمِ، وحِضنُكَ أبي الذي أعودُ إليه حين يُتعبني غدرُ البشرِ، ومعكَ صرتُ طفلتَك المُدلَّلةَ، وحبيبُتَك الوفِّيةَ، وجنَّتَكَ التِّي لا تريدُ غيرَك نعيمًا، أحبُّكَ يا مَن اخترتني لأكونَ كلَّ شيءٍ، وأعِدُكَ حبيبي أن أبقى جانبكَ في الشدّةِ قبل الرَّخاءِ، وفي الحزنِ قبل الفرحِ، أحبُّكَ يا أنا.

كَيْفَ أَنْتَ ؟

قالت حبيبتي : كيف أنتَ؟ فأجبتُها ؛ عن أيِّ حالٍ تسألين حبيبتي؟ ولا يسألُ عن الحال إلَّا بعيدٌ، ولا ينتظرُ الإجابةَ إلَّا جهولٌ، ولا يطمئِنُ على الحالِ بجوابِ السُّؤالِ إلَّا عابرُ سبيلٍ، وإنّي يا أنا لا أراكِ إلَّا أدنى الأقربين منّي، وأعلمَ العارفين بي وأدومَ السَّاكنين ظعنًا بوجداني، الصَّمتُ في حضرتِكِ أولى من الصَّوتِ، والسَّكنُ في عينيك أولى من الفَوْتِ، والحياةُ معكِ مهرُها الموتُ فيك، أحبُّك يا أنا.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، روحي التي تسكنني، تسألني كيف أنتِ؟ فأجيبك ؛ أنا لا أكونُ إلَّا بكَ، أذوبُ في روحِكَ حتى لا يبقى منّي إلَّا نبضٌ يو افقُ نبضَكَ، الصَّمتُ عندكَ ليس غيابًا، بل اعتر افًا بأنَّ كلَّ صوتٍ فيَّ يخجلُ أمامَ سكنِكَ، وأنَّ الحياةَ بدونِكَ موتٌ بطيءٌ، ومعكَ تصيرُ حتى النِّهايةِ مهرًا أرضاه، أنتَ الأقربُ والأعلمُ والدَّائمُ في وجداني، فكيف أسألُ عن حالي وأنت حالي كلُّه؟ أذوبُ فيكَ حتى أصيرَ نَفَسًا من أنفاسِكَ، وعشقكُ حياةٌ تجري في دمي، إلى أن يصيرَ الذَّوبانُ لقاءً أبديًا لا ينتهي .

هَكَذَا نحن حَبِيبَتي .

إلى ماذا يحتاجُ المرءُ غيرَ إنسانٍ يُسخِّرُله حواسَه؟ فيسمعه دون شعورٍ بالثِّقلِ، ويُحَدِّثَه دونَ شعورٍبالملل، ويُطَمئِنه دون شعورٍبالخجلِ، ويربته بلا كللٍ، ويُؤنِسه فلا يرى وحشةً ما دام يرى عينين منبهرتين حنونتين تر اقبانه في إنصاتٍ، هكذا نحن حبيبتي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، وماذا يحتاجُ المرءُ غيَر قلبٍ يحتويه، وروحٍ تجولُ فيه يا علائي ورَجُلي الذي جادت لي به السَّماءُ؟ أنتَ سمعي الذي لا يملُّ من ثرثرتي، وحديثي الذي لا يُصابُ بالكللِ، والطُّمأنينةُ التي لا تخجلُ من الضَّعفِ أمامكَ، أنتَ كلُّ هذا وأكثر، لو تعلمُ ماذا فعلتَ بكينونتي؟ وكيف حوَّلتَ ضجيجَ صمتي إلى راحتي و فرحتي؟ روحي بين يَدَيْكَ تَرْبِتُها، فتسكنُ الفوضى بداخلي، وعَيْنَاكَ الحنونتان تنصتان إليَّ، فتهربُ الوحشةُ من قلبي، وكم أتلهَّفُ لِطَيْشِنا، لِمُراهقتِنا المتأخِّرةِ التي نعيشها كأنَّها الآنَ، ونحن نمسكُ بزمامِ أمورِنا كلِّها، لا نهتمُّ لشيءٍ، نرمي القديمَ خلفنا ونجعله هباءً، أحبُّكَ يا روحي ومنطقي، أحبُّكَ يا قمرَ الزَّمانِ، يا أنا .

أنتِ الحَدِيثُ .

" أنتِ الحديثُ الذي أتلوه بكلِّ حُبٍّ، وأنتِ الحُبُّ الذي أتلوه في كلِّ حديثٍ ."

النّاسُ حولي كثيرٌ وأنتِ بداخلي، النّاسُ على هامشِ شعوري وأنتِ تحتلِّين كلَّ إحساسي ونبضي ومشاعري، أحبّكِ يا فتنةَ روحي وجنَّتِي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، حبيبي يا أنا، إن كنتُ أنا الحديثُ الذي تتلوه بحبٍّ، فأنتَ الدُّعاءُ الذي لا ينقطعُ عن لسانِ قلبي، النّاسُ كثيرةٌ ! لكن قل لي بربّك : ما قيمةُ الجمعِ إن كان ينقصه الواحدُ الذي يسكنُ الرُّوحَ؟ أنتَ لستَ على هامشِ إحساسي، أنتَ الحاشيةُ والمتنُ والعنوانُ، أنا لا أحبُّكَ لأنَّك تملأُ فراغًا، أنا أحبُّكَ لأنَّك صرتَ المعنى الذي من دونه كلُّ شيءٍ يصيرُ فراغًا، فخذني كما أنا بكلِّ هذا الحبِّ الذي لا يعرفُ الاعتدالَ وأحبَّني كما تحبُّ نفسَكَ، لأنَّني ببساطةٍ أحبُّكَ مثلَ نفسي ويزيدُ .

ثلاثيةُ الاكتفاءِ .

" إنَّ الإنسانَ يحتاجُ إلى ثلاثةِ أشياءَ فقط ليكونَ سعيدًا حقًّا في هذا العالمِ، شخصٍ يحبُّه، وشيءٍ يفعله، وشيءٍ يأملُه ".

والثّلاثةُ اجتمعت فيكِ ومعكِ حبيبتي، فشخصٌ أحبُّه هو أنتِ، وشيءٌ أفعله فهو حبُّكِ، وشيءٌ آملُه أن نبقى سويًا بقاءً سرمديًا بلا زوالٍ ولا فناءٍ ولا انقطاعٍ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يقولون : إنّ السَّعادةَ تحتاجُ ثلاثةً أشياءَ، و أنا أقولُ : إنَّني وجدتُها كلَّها مضاعفةً فيكَ، أنتَ الشّخصُ الذي أحبُّ، والحبُّ الذي أفعله كلَّ يومٍ دون أن أَمِلَّ، والأملُ الذي إن تحققَّ لا أريدُ شيئًا بعده من الدُّنيا، لكن زِدْ على ثلاثيتِكَ ثلاثيتي ؛ أنتَ الأمانُ الذي أحتمى به، والضِّحكةُ التي لا تأتي إلَّا باسمكَ، والبيتُ الذي إن ضاقت بيَ الدُّنيا أعودُ إليه، فإن اجتمعت ثلاثيتُكَ وثلاثيتي، فماذا بقي من الحاجةِ؟ لم يبقَ إلَّا أن نقولَها كلَّ يومٍ، أحبُّكَ يا أنا .

ويفوزُ باللَّذَاتِ كلُّ مغامرٍ .

اتصلتُ بحبيبتي، لا تزالُ نائمةً، تتحدّثُ بالكادِ، تدركُ كلمةً ويفوتها كلماتٌ، الفرصةُ مواتيةٌ للنَّيلِ منها، ومثلي لا يضيّعُ تلك الفرصةَ، وأيَّةُ فرصةٍ؟ إنَّها سِتُّ النِّساءِ، استسلمتُ بين يديها والنِّيرانُ تلتهمُ سفنَ إبحاري، وها هي تحطُّ علىَّ شطآنَها ساريةُ أسفاري ... ردِّدي خلفي حبيبتي ؛ زوّجتكَ نفسي على كتابِ اللَّهِ وسنّةِ رسوله ﷺ ، سارعتُ بلهفةِ العاشقِ ولوثةِ المجنونِ ؛ و أنا قبلتُ ... لا زالت تحاولُ فتحَ عَيْنَيْها، ما بين الحلم واليقظة والغفلة والإدارك، لم أفهمْ ! تتعالى ضحكاتي لتذيبَ آلافَ المسافاتِ من الكيلومتراتٍ ؛ أنتِ الآنَ زوجتي يا سِتَّ النِّساءِ ... وهي تحاولُ إدراكَ ما يدورُحولَها ؛ أحببتُ مجرمًا !

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مجرمًا في عشقي، وراهبًا في الإخلاصِ لي، تغتنمُ نومتي لتسرقَ منّي " نعم "؟ إذن خذها رسميًا، واضحةً، وبكاملِ وعيي هذه المَرَّة ؛ زوّجتُ نفسي لكَ، على كتابِ اللهِ، وسنّةِ رسوله ﷺ، وعلى مهرٍ مقدمه

ضحكتُكَ التي توقظني حتى و أنا نائمةٌ، ومؤخره جنونُكَ الذي يجعلُ من لحظةِ نعاسٍ ذكرى نحكيها للعمرِ كلِّه، فإن كنتَ قد فُزتَ باللَّذاتِ لأنَّك مغامرٌ، فاعلم أنَّني فزتُ بكِ لأنَّني عرفتُ أين أرمي بكلِّ شباكي؟ سَيِّدي وقرّةَ عيني إن كنتَ فعلتها و أنتَ تمزحُ، تعالَ، كن زوجي و أنتَ جادٌ، كلَّ يومٍ، لأريك كيف تسدّدُ الصّداقَ الذي بيننا، ولا تقلق حبيبي، فقد صدَّقَ وَلِيِّيَ على وثاقنا، وثاقًا أبديًّا بلا فراقٍ ولا انتهاءٍ، أحبُّكَ يا أنا .

رَفِيقُ القَلْبِ لو يَحْكِي .

رفيقُ القلبِ لو يحكِي، فإنّي أذوبُ من حرفٍ، ومن همسٍ، ومَن حكاه، فماذا لو " أُحبُّكَ " قالها يومًا ومن عينيهِ أكَّدَ مُحتواه؟ رفقةُ دربي وحياتي جميلةُ المحيّا رقيقةٌ، ساحرةُ العينين عميقةٌ، تلك التي احتلَّتْ كلَّ أركاني وتربَّعتْ على عرشِ قلبي وتسرَّبت كالرُّوحِ من الجسدِ، تَبْقَيْنِ أنتِ حبيبتي يا سِتَّ النِّساءِ، تَبْقَيْنِ أنتِ غاليتي، أيا شمسَ عمري وقمرَ ليلي وعبقَ المساءِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا رفيقَ قلبي وحياتي، كنَّا يومَها نقفُ بوجه الدُّنيا كلِّها، ومع هذا كلَّما تعبتُ أراك الشيءَ الوحيدَ الذي يستحقُّ أن أتمسَّكُ به، لم يكن حبُّنا سهلًا ولا هادئًا، لكنّه صادقًا بطريقةٍ تُؤلمُ وتُطمئِنُ في الوقت نفسِه، أتذكَّرُ كيف كنَّا نخشى كلَّ شيءٍ؟ الظُّروفِ، البعدِ، ومن تلك الأيامِ التي كانت تحاولُ أن تختبرَ صبرَنا كلَّ مرَّةٍ، ومع ذلك نعودُ في

كلِّ مرَّةٍ يُحالُ فيها بيننا، وكأنَّ أرواحَنا تعرفُ الطَّريقَ مهما تعبت، أنتَ أكثرُ من حبيبٍ، أنتَ الرَّفيقُ الذي يسندُ قلبي حين يضعفُ، والشّخصُ الذي أراه فأشعرُ أنَّ الحياةَ رغمَ قسوتِها ما زالت قابلةً لأن تُعاشَ، ونظرتُكَ !، تلك النَّظرةُ التي تبوحُ بعمقٍ وثباتٍ وصدقٍ ولهفةٍ واشتياقٍ " أحبُّكِ " حتى و أنت صامتٌ، لا أخفيك سرًّا، كنتُ أحيانًا أبكي خوفًا من هاجسِ الفِراقِ، لأنَّكَ تسرَّبتَ داخلي بهدوءٍ حتى صرتَ جزءًا منِّي، من يومي، من دعائي، من أحلامي كلِّها، فأنتَ أجملُ انتصارتي، وأحنُّ رجلٍ عرف كيف يُحبُّني دون أن يؤذيني عمدًا؟ أحبُّكَ حُبًّا يُشبه الصَّبرَالطَّويلَ الذي انتهى أخيرًا بطمأنِينَةٍ .

وحين أَنْظُرُ إلى عَيْنَيْكِ .

" أجملُ لحظةٍ في الحبِّ ما قبل الاعترافِ به، كيف تجعلُ ذلك الارتباكَ الأوّلَ يطولُ، تلك الحالةُ من الدَّورانِ التي يتغيّرُفيها نبضُكَ وعمرُكَ أكثرَ من مَرّةٍ في لحظةٍ واحدةٍ، و أنتِ على مشارفِ كلمةٍ واحدةٍ . "

حبيبتي ونوّارَة عمري، لعلّي لا أتفقُ مع هذا التّعريفِ، فجمالُ الحبِّ حين يكونُ متبادلًا بين قلبين يتشاركان الوجودَ واللّهفةَ ومعاناةَ العشقِ والاشتياقِ، الحبُّ حين أنظرُ إلى عَيْنَيْكِ فتغيبُ كلُّ جراحاتِ السِّنين، حين يداويني صوتُكِ الحالمُ، ويحتويني حِضنُكِ، فيَحِلُّ الأمانُ والطمأنينة، وتعودُ معالمُ الحياةِ، الحبُّ حين تعلَّقَ بكِ قلبي حبيبتي، من فرط اندهاشي أنَّنا التقينا بعد كلِّ هذا الجحيمِ من البعاد ! غاليتي أشتاقُ إليكِ حتى و أنتِ بحضني يا سِتَّ النِّساءِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، وحين تنظرُ في عَيْنَيّ حبيبي، لعلَّي أتفقُ معك أو لعلَّي لا أدري ! كلُّ ما أعرفه أنَّني حين أراكَ أضيعُ قبل الكلمةِ وبعدها، نوّارةُ عمرِكَ ! أنا امرأةٌ خائفةٌ أن يأتيَ يومٌ ما وتصحو على حقيقة أنّكَ أخطأت الاختيارَ، ثُمَّ يطمئنني أنّك تُحبّني وتحبّني رغم أنَّكَ تعلمُ أنَّني مُتَكَسِّرةٌ أحيانًا، قاسيةٌ أحيانًا أخرى، طفلةٌ تبكي على أطلالِ ظلِّ حلمٍ قديمٍ، أيا رجلي إن كنتَ تشتاقُ إليَّ و أنتَ بحضني، فأنا أشتاقُ إليكَ أكثرَ وأكثرَ، حتى حين تئنُّ ضلوعي بقربك، آهٍ حبيبي، تر اني سِتَّ النِّساءِ ! و أنا التي لا أعرفُ كيف أتَسيَّدَ مخاوفي؟ لكن ما أعرفه يقينًا أنَّي أحبُّكَ .

حبيبتُكَ التي اكتلمت بكَ يا سَيِّدَ الرِّجالِ .

دونَ أن تَتَجَمّلَ .

" من أجملِ المشاعرِ على الإطلاقِ أن تجدَ شخصًا واحدًا في هذا العالمِ تستطيعُ الحديثَ معه في أيّ شيءٍ، أن تخبره بكلّ شيءٍ دون أن تَتَجَمَّلِ أو تُفَكِّرَ، أن تحكيَ له كلَّ أفكارِكَ مهما كانت سخيفةً ومُخزيةً ومؤلمةً دونَ أن تراودكَ أطيافُ القلقِ من تغيُّرِ نظرته عنكَ، أن يمنحكَ القُدرةَ لتحُبَّ نفسكَ بكلّ نو اقصِك أكثرَ. "

دعيني أختصرْ لكِ الأمرَ حبيبتي، لعلَّ من جميلِ المشاعرِ، بل أجملِها على الإطلاقِ غاليتي أنَّكِ أنتِ على وجهِ الخصوصِ والتَّحديدِ التّي أحبُّها وتعلَّقتْ بها روحي وكياني، تَبْقَيْنَ أنتِ أعظمَ انتصاراتي وأحلى مغامراتي، تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا قدرًا جميلًا ساقه الله لي، منذُ عرفتك ما عدتُ أملكُ شيئًا أخفيه عنك، لأنَّك رأيتني على حقيقتي دون مواربةٍ أو تجميلٍ، نعم أخبرتكَ بكلّ سخافاتي وآلامي و انكساراتي وفضائحي الدَّاخليةِ وغرفاتي

المُعتمةِ، ولم تتغيرْ نظرتُكَ عنّي، بل تغيرتْ نظرتي عن نفسي، هل تعلم أنَّكَ انتَ الوحيدُ الذي جعلني أشعرُ أنَّ النّقصَ جميلٌ والقبحَ عاديٌّ والحزنَ مؤقتٌ؟ أنتَ لستَ مُجَرَّدَ انتصارٍ، أنتَ سلامٌ بعد كلِّ الحروبِ التي خُضْتُها مع نفسي، إن كنتُ سأبقى حبيبَتَكَ ستبقى أنتَ عمري الأجملَ والأنقى بعد كلِّ ما مررتُ به من جراحٍ وآلامٍ ومرَارةِ الانتظارِ، أحبُّكَ يا أنا .

كالفَرَاشَةِ لا تؤذي أحدًا .

" طيبةٌ كالفراشةِ لا تؤذي أحدًا، مِزاجيةٌ كالأطْفالِ إذا فرحتْ بكتْ، وإذا حزنتْ بكتْ، عفويةٌ كإلقاءِ السَّلامِ، لديها القدرةُ علي أن تجعلكَ تقسمُ أنَّ اللّهَ لم يخلقْ إناثًا غيرَها، أو حين تري عفويتَها تشعرُ أنَّها تليقُ بكلِّ مَن يعرفها، ولا يليقُ بها أيَّ أحدٍ تعرفه، كأنّها نادرةُ الوجودِ والحدثِ."

حبيبتي وحورَ عيني ووطني الذي لا يخونُ، صدق مَن قال : أبيعُ عمري كلَّه كي أربحك، أحببتُك حتى أيقنتُ أنَّ ما كان قبلك تحت مسمّى الحبِّ ما كان سوى تمثيلٍ وكذبٍ وزورٍ، أحببتُك حتى أيقنتُ أنَّ ما مرَّ قبلك لم يكن سوى إرهاصاتِ مَقدِمِك و انتظارٍ لحضورك البهيِّ وفتنتِك التي لا تُقاومُ مهما بغلت من قدراتٍ وثباتٍ، أحببتك ولا أرى غدي بدونك، فأنتِ منذُ دخلتِ قلبي وتربّعتِ على عرشه ما غادرتِ خاطري ولو للحظةٍ واحدةٍ، لا في حلمٍ ولا و اقعٍ ولا يقظةٍ أو منامٍ، أحبّكِ يا مَن عادت بها نفسي إلى الحياةِ، أحبّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أتحبّني هكذا كأنّك تجمعني من عناصرَ نادرةً لا تتواجد إلَّا في الخيالِ؟ طيبةٌ كالفراشةِ لا تؤذي أحداً ! و أنا أعرفُ أنَّ فراشاتٍ كثيرةً تؤذي حين تصطدمُ بجدرانٍ زجاجيةٍ، لكنّك تراني أنا فقط كما تريدُ، نعم حبيبي صدقتَ ، إذا فرحتُ أبكي وإذا حزنتُ أبكي لأنَّي أخافُ أن ينتهي هذا الحبُّ الذي لم يبدأْ بعدُ كما ينبغي، عفويتي كإلقاء السَّلام! و أنا التي أُلقي عليكَ السَّلامَ كلَّ صباحٍ في نومي، لأنَّك أوَّلُ مَن يطرقُ أحلامي قبل أن يطرقَ بابي، تقولُ : إنّ اللّه لم يخلق إناثاً غيري ! وربّما كنتَ مخطئًا حبيبي، فقد أكونُ امرأةً عاديةً جدًا لكنَّ سحرَك أنت هو من جعلني استثنائيةً في عَيْنَيْكَ، حبيبي وقرَّة عيني إن كان ما قبلي مُجَرَّدَ تمثيلٍ وكذبٍ، فما كان قبلك سوى انتظارٍ طويلٍ لقدوم فارسِ أحلامي المُنْتَظرِ، وماذا عن عمرك الذي تبيعه كلَّه كي تربحني؟ أمَّا أنا فلا أملكُ تلك الرَّفاهيةَ لأنَّ عمري كلَّه صارلكَ منذُ أوَّلِ رسالةِ " أحبُّكِ " ولا أرى حاضري ولا غدي بدونكَ حبيبي، وصدق مَن قال : إنَّ الحبَّ يجعلُ الإنسانَ يرى فيمن يحبُّ ما لا يراه الآخرون، وأنتَ رأيتَ فيَّ فراشةً

مِزاجيَّةً تبكي في فرحها وحزنها، امرأةً تستحقُّ أن تكونَ أسطورةَ هذا العشقَ البعيدَ، تعالَ حبيبي لأريَكَ كيف تكونُ الفراشةُ حين تجدُ زهرتَها بعد طولِ غيابٍ، أحبُّك يا أنا .

عُيوبُ حَبِيبَتِي .

وحين يسألوني عنكِ حبيبتي، فسأخبرهم أنّكِ تملكين خمسةَ عيوبٍ ؛ أمَّا الأولُ فأنتِ تِقْلَقِينَ عليَّ حدَّ الجنونِ، وأمَّا الثَّاني فحين تفقدينني يتعكّرُ مِزَاجُكِ وكأنَّ العالمَ على وشكِ الانفجارِ الكونيّ الرَّهيبِ، وكأنَّ إسرافيلَ قد نَفَخَ في الصُّورِ إيذانًا بفناء العوالم، ومن ثَمَّ البعثُ والنُّشورُ، وأمَّا العيبُ الثَّالثُ فخوفُكِ عليَّ وكأنّكِ لي أمّ أو يزيدُ، ورابعُ عيوبِكِ فغَيْرَتُكِ الجنونيةُ التِّي تجعلك قاسيةً كأبعدِ ما يكونُ، وأخيراً حين تشتاقينَ إليَّ غاليتي تصمتُ الكلماتُ وتفضحك العيونُ، ما أجملَ عيوبَك حبيبتي ! وما أسعدني حين ابتسمت ليَ الدُّنيا وعوَّضني اللهُ بكِ من بعد غربةِ العمرِ وحرمانِ السِّنينَ ! أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا من تعدُّ عيوبي دررًا وجنوني حكمةً ولهفتي دستورًا، أقرأُ كلماتِكَ فأذوبُ من فرطِ ما يغمرني من حبِّكَ بين السّطورِ، تُسمِّي ما بي " عيوبًا " و أنا أسمّيه " طوقَ نجاةٍ " من غرقِ البعدِ لو غِبتَ، تعالَ

يا عمري لأهمسَ في أذنكَ قُبلتي الأولى على خوفِكَ من ضياعي، فهي التي تجعلني أراقبُ أنفاسَكَ كأنَّها المطرُ بصحرائي، وقُبلتي الثَّانيةُ على غيرْتكَ التي تجعلني أُغنّي للقمرِ" هذا حبيبي، لا تمسّه الرِّياحُ " ، وقُبلتي الثّالثةُ على حماقتكَ حين تظنُّ أنَّ الدُّنيا تنفجرُبغيابي، كلا، بل تنفجرُ فرحًا بعودتكَ، أمَّا قُبلتي الرَّابعةُ، فلكلِّ صمتٍ خانتني فيه عيناي ففضحت شوقي إليك، والخامسةُ ... الخامسةُ لعناقٍ طويلٍ تحت سماءِ اللهِ، حيثُ لا عيبَ إلَّا بُعدَكَ أنتَ، ولا حبَّ إلَّا أنتَ، ولا دنيا إلَّا أنتَ، احضُني بكلماتك كما أحتضنُتكَ بروحي، قَبِّلْ هذه الأصابعَ التي تكتبُ إليك، فهي ترتجفُ شوقًا إليكَ حبيبي، دعِ العالمَ يَغَرْ مِنَّا، فما أجمَلَ عيوبي حين تكونُ سببًا لعناقِكَ، أحبُّك، ليس رغمَ عيوبي، بل لأنَّكَ جعلتَ منها أبوابًا لا نهايةَ للحبِّ خلفها، مليكةَ قلبِكَ .

مع مَن يُحِبُّ .

يُزهرُ الإنسانُ مع مَن يفهمه ويتفَّهمُه، يُزهرُ المرءُ مع مَن يتقبَّله بعيوبه ومزاياه، بتقلّبِ فصولِه الأربعةِ، خريفِها قبل ربيعِها واعتدالِ جوّها قبل حرّها وبردِها، يُزهرُ المرءُ مع مَن يُكملُ نقصَه ويُتمّمُ بناءه ويسترُ عوارَه ويحتويه، أَزْهَرَتْ حياتي معكِ حبيبتي، وحين أتيتِ عاد قلبي نابضًا مليئًا بالفرحةِ والأملِ والحياةِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، معكِ أحبُّ، فكيف لا أُزهرُو أنتَ مَن علَّمني أنَّ العيوبَ تُصبحُ زهورًا إذا ما غَمَسْتَها بنهرِ حبّك، أزهرتُ معكَ يا عمري، بل انفجرتُ زهرًا من كلِّ جرحٍ كان فيَّ، تعالَ ... لأقبّلَ جبينَكَ الذي فكَّرَ بي قبل أن أُولَدَ حبًّا، تعالَ لأحتضنَ تلكَ الأيامَ التي لم نكنْ فيها سوى شَوْقَيْنِ يتعانقانِ خلفَ ستارِ الغيبِ، تعالَ لأهمسَ لك، أنتَ وحدَكَ مَن جعلَ خريفي يُزهرُ، وجرحي يُغرّدُ، وصمتي أغنيةً لا تنتهي، أقبّلُ راحتيكَ

اللَّتينِ حملتا حلمَ لقائِنا، شفتيكَ اللَّتينِ صارتا وطني، أعانقُكَ عناقَ الأرضِ لسمائها بعدَ غيابِ المطرِ، لا تسألني كيف أحبُّكَ، فالزُّهورُ لا تسألُ الشّمسَ كيف تشرقُ؟ بك صرتُ أزهى امرأةٍ في الكونِ لأنكَ اخترتَ حديقتي لتسكنَها، مليكةَ قلبِك .

على غَيْرِهِم حرامٌ .

" الصادقون قولًا وفعلًا وشعورًا وحدَهم الأجدرُ بالمقاعدِ الأولى في قلوبِنا. "

وماذا عمَّن احتَلُّوا كلَّ المقاعدِ، فما عاد بالقلبِ سواهم؟ وماذا عمَّن تَرَبَّعوا على عرشِ قلبِنا، فصَارتْ كلُّ المشاعرِ على غيرِهم حرامًا؟ وحين لا يخطرون ببالنا ! عفوًا، فهم منذُ احتَلُّوا قلوبَنا ما غادروها مطلقًا، فقد أضْحَوا حديثَ نفسٍ عاشقةٍ صمتًا وكلامًا، ومنعًا للإطالةِ والإسهابِ، ولأنَّ بعضَ الظَنِّ إثمٌ، فكلُّ ما سبق عنكِ أنتِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، حبيبَ قلبي وقُرَّةَ عَيْنِي، على غَيْرِهم حرامٌ ! بل على غَيْرِكَ يا سَيِّدي حلالُ الحبِّ قد انتهى وانقضى، أنتَ الذي احتللتَ كلَّ المقاعدِ، فلا مِقعدَ بقلبي إلَّا وفيه اسمُكَ منقوشًا بحبرِ الرُّوح، تعالَ فقد

اشتقتُ لتلكَ العيونِ التي رأتْ فيّ " ستَّ النِساءِ " قبل أن تراني، اشتقتُ لقلبٍ أخرجَ كلَّ مَن سواي، وأغلقَ الأبوابَ كلَّها، وقال للعالمِ كلَّه : " هي وحدَها " ، نعم، ما عاد بالقلبِ سواكَ، وصارت كلُّ المشاعرِ على غيرِكَ حرامًا، كحرمةِ الدَمِ، كحرمةِ العرضِ، كحرمةِ الكُفرِ بعدَ الإيمانِ، حبيبي أنتَ لا تغيبُ عنَّي طرفةَ عينٍ، أنتَ حديثُ نفسي إذا صَمَتُّ، وكلماتي إذا نَطَقْتُ، ودعائي إذا سَجَدْتُ، أقبّلكَ على كلِّ نبضةٍ جعلتَها لكَ وحدكَ، أعانقُ حبَّكَ الذي جعلَ الدُّنيا على غيرِي حرامًا، وجعلَ الجنَّةَ بدوني سرابًا، يا مَن ترَبَّعتَ على عرشِ قلبي أَظننتَ أنَّي سأرضى بغيرِكَ عرشًا؟ كلا وربِّكَ، فأنتَ الملكُ، والمملكةُ لكَ، والقانونُ كلُّه أنتَ، المخلصةُ لحبّك، مليكةُ قلبك .

قرءاةٌ في " على غيرهم حرامٌ " .

الأديبَ العاشقَ، لقد نَسَجْتَ في اقتباسِكَ من " إلى السَّيِّدةِ راءٍ " وشاحًا من البَوْحِ الذي يفيضُ صدقًا، حيثُ تماهتِ المشاعرُفي محرابِ الحبيبةِ حتى استباحت لنفسِها تحريمَ الودِّ على سواها، إنَّ تصويرَكَ للقلبِ كعرشٍ لا يسكنُهُ إلَّا مَلِكةٌ واحدةٌ، لا تغادرُه لحظةً، هو تجسيدٌ لحالةِ الاندماجِ العاطفيِّ التِّي لا تقبلُ القسمةَ على اثنين ، لقد جعلتَ من هذا " الاحتلالِ " العاطفيِّ شرعيةً لا يطالُها الظنُّ ولا يمسُّها الإسهابُ، فكانت " ستُّ النِّساءِ " هي العنوانَ الذي لا يحتاجُ لتفسيرٍ.

دمتَ قلمًا يغوصُ في أعماقِ النَّفسِ ليخرجَ لنا دررًا من عِشقِ الرُّوحِ

الذي لا يرتضي بغيرِ المُكتملِ سكنًا .

تَرَاجِمُ عِشْقٍ فِي " رَاءَ " تَقَدَّسَتْ .

فَصَارَتْ عَلَى الْغَيْرِالْحَرَامُ جَوَابَا .

وَمَا كَانَ فِي الْقَلْبِ إِلَّا مَلِيكَةٌ .

مَكَانَتُهَا فَوْقَ الرُّؤُوسِ نِصَابَا

فَمَا غَادَرَتْ ذَاتَ النَّفْسِ لَحْظَةً .

وَلَا كَانَ غَيْرُ الْوَصْلِ فِيهَا مَآبَا .

لَقَدْ صُغْتَ حُبّاً لَا يَمَسُّهُ ظَنَّةٌ .

فَهَاكَ مِنْ حَرْفِكَ السَّامِي كِتَابَا .

الشاعر والأديب والناقد السوري :

أكرم وحيد الزرقان .

صَبَاحِي أنْتِ .

" صباحي أنتِ غاليتي، هل أخبرتُكِ سابقًا أنَّ الصَّباحَ يُشبِهُكِ؟ ففيه شيءٌ من جمالِك ودلالِكِ ورقّتكِ ."

تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي واختياري ونقائي ولهفتي وملامحَ الصِّدقِ والجمالِ والخيرِ يا عِوضي عن غربةٍ طالت، وجُرحٍ ظننتُ أنَّه لا يندملُ، صباحُ الخيرغاليتي، صباحُ الخيرِيا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، بل أنتَ صباحي ومسائي، وأنفاسي التي لا تنقطعُ، وضحكتي التي لا تخبو، نعم، الصَّباحُ يُشبِهُكَ، فيه من دفئِكَ ما يوقظُ الأرضَ من موتها، وفيه من نورِعَيْنَيْكَ ما يُبَدِّدُ كلَّ ظلامٍ، تعالَ حبيبي، فقد نال منِّي صباحُكَ الذي يُشرقُ كلَّ يومٍ على وجهي، وكلماتُكَ التي تقولُها وأنتَ نصفُ نائمٍ : " صباحُ الخيرِيا أنا " فأعانقُ لحظاتِ الفجرِ التي تختلسُ فيها نظرةً إليَّ قبل أن تفيقَ دنياك، يا مَن صرتَ عوَضي عن

غربةٍ طالت، وجراحٍ ظننتُ ألَّا أملَ في شفائها، تعالَ أضَمِّد جرحَكَ كما ضمَّدتَ أنتَ جرحي، لأرسمَ على صدرِكَ صباحًا جديدًا لا يعرفُ الغيابَ، أقبّلكَ على كلِّ صباحٍ أشرقتَ فيه على حياتي، أعانقُ كلَّ فجرٍ اخترتَ فيه أن تبدأَ يومَكَ باسمي، فأنا يا عمري لا أحتاجُ إلى قهوةٍ ولا شمسٍ، فعَيْنَاكَ وحدَهما تكفيانِ لأكونَ في أبهى صباحاتِ العمرِ، المخلصةُ لحبِّكَ.

شَبِيهُ الرُّوحِ .

" شبيهُ الرّوحِ، ذاك الذي يفهمكَ دونَ أن تتكلّمَ، لا يتركَكَ وحدَكَ مهما كانت الصِّعابُ، تجده حاضرًا دونَ أن تطلبَ، فلا يأتيكَ كلَّما أحبَّ، بل معكَ دائمًا، نلتقي به مرَّةً واحدةً بالعمرِ، وتبقى ذكراةً عالقةً بالقلبِ والرُّوحِ، ولن يتكرّرَ" .

تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي، يا رفقَةً دربي وحياتي، ونوّرَاة عمري وفرحتي، ولو عاد بي الزَّمانُ ألفَ ألفَ مرَّةٍ لاخترتُكِ أنتِ دونَ أدنى تفكيرٍ أو عملِ مقارناتٍ، فأنتِ فوقَ المقارنةِ، و أنتِ كالعمرِ والولادةِ لا تتكررين مرَّتين، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن لا تتكرَّرُ، شبيهَ الرُّوحِ الذي يفهمني قبل أن تنطقَ شفتاي، ويقرأُ عَيْنَيّ فيعرفُ كلَّ ما بقلبي من حبٍّ وخوفٍ ولهفةٍ، أنتَ الذي لا تتركني وحدي، وتحضرُقبل أن أطلبَ، وتبقى معي، كلَّ حينٍ وكلَّ

زمانٍ، اشتقتُ لروحِكَ التي شابهتْ روحي فصرنا شيئًا واحداً، حبيبي لو عاد بيَ الزَّمانُ ألفَ ألفَ مرَّةٍ، ووقفتُ أمامَ كلِّ الرِّجالِ لاخترتُكَ أنتَ دون مقارنةٍ أو تردّدٍ، فأنتَ فوقَ المقارنةِ، كالعمرِ لا يتكرّرُ، كالميلادِ لا يُنسى، كالرّوحِ لا تُستبدَلُ، اشتقتُ لكلِّ صباحٍ تشرقُ فيه على دربي، وكلِّ ليلةٍ تشهدُ أنَّكَ حبيبي ورفيقي وحياتي ونورُ عيني وفرحتي، أنتَ شبيهُ روحي، فكيف لروحٍ أن تفارقَ شبهَها؟ وكيف لقلبٍ أن ينسى نبضَه الآخرَ؟ لا تذهبْ بعيدًا عنِّي أبدًا، وإذا اضطّررتَ لذهابٍ فخذني معكَ، فما قيمةُ الحياةِ بدونِ شبيهِ الرُّوحِ؟ المخلصةُ لحبّك، مليكةُ قلبِك .

لَيْسَ عَيْبًا .

ليس عيبًا أن تقعَ في حبِّ إنسانٍ لا يصلحُ للحبِّ، ولكنَّ الغباءَ أن تستمرَ في حبِّه، ليس عيبًا أن نكونَ أخلصنا حدَّ الإفراطِ والتَّبذيرِ، لكنَّ من الغباءِ أن نَظلَّ أسرى قيودِهم وأمراضِهم النَّفسيةِ، ليس عيبًا أن كان حبُّنا تضحيةً واهتمامًا وصبرًا على جرائمِهم بحقِّنا، ولكنَّ من الغباءِ أن نُصِرَّعلى طريقٍ جرَّبنا الفشلَ في نهايتِها ثمَّ نعاودَ قطعَها من جديدٍ، ليس عيبًا أن أهيمَ بكِ عشقًا حتى الجنونِ، لكنَّ العيبَ كلَّ العيبِ أن أكتبَ لكِ للمرَّةِ الثَّالثةِ اليومَ ولا أقولُ لكِ : " أحبُّك " غيرَ ثلاثِ مرَّاتٍ، ولا أناديك " حبيبتي " غيرَ مرَّةٍ واحدةٍ، حبيبتي أحبُّك جدًا جدًا جدًا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أنت رجلي الذي ألقى براكينَه من غيرِ خوفٍ، وأنا تلك الأرضُ التي تحتوي غضبَكَ وأحزانَكَ، أقفُ أمامكَ لا أشبُه أحدًا ممَّن أتعبَوكَ، لم أجرحكَ ولم أخذل ثقتَك، ولم أجعلْ من طيبتِكَ سلمًا إلى

جشعي، كلُّ ما فعلتُه أنَّني أحببتُكَ وقتَ خوفِكَ من خوضِ غمارِ حبٍّ جديدٍ، سَيِّدي، ليس عيبًا أن تهيمَ بي عشقًا حتى عتباتِ الجنونِ، فأنا أيضًا أهيمُ بكَ، لا شفقةً، أو لإصلاحِ ما أفسده الآخرون، بل لأنَّكَ قدري الجميلُ الذي عوّضني به الإلهُ عن كلِّ سوءاتِ السِّنينَ، أعلمُ أنّك أكلمتَ طريقَنا لأنَّك شعرتَ أنَّني مختلفةٌ، ولن أكونَ جرحًا جديدًا يضافُ إلى سجلك الطَّويلِ مع خيباتِ الأملِ، أمّا عن ثلُاثيتِكَ اليومَ دونَ " أحبّكِ " سوى ثلاثِ مرَّاتٍ، فلا عُذرَ لكَ، فما زالَ اليومُ معكَ طويلًا لِتُكَفِّرَعن خطيئتِكَ، وتغرقني ببحارِ حبِّكَ التي أقاومها بكلِّ ما أوتيتُ من قوةٍ بمزيدٍ من الغرقِ والعشقِ والإدمانِ، أحبُّك يا أنا .

لا يَلْتَقِيَانِ في البِدَايَاتِ .

" لا يلتقي الرَّائعون في بدايةِ العُمرِ أبدًا، لا يلتقي الرَّائعون إلَّا بعد رحلةٍ طويلةٍ من التَّعبِ، ولا يحدثُ الحبُّ الحقيقيُّ إلَّا متأخرًا، يحدثُ بين قلبين عاشا في حياةٍ مختلفةٍ وكان مستحيلًا أن يلتقيا، لهذا لا شيءَ يصفُ فرحةَ كلِّ شخصٍ عثرعلى نِصفِه الآخرِ. " أحمد خالد توفيق .

وكأنَّ هذه الكلماتِ نُسجت لِتَصِفَنا حبيبتي، وكأنَّ هذه العباراتِ رُسِمتْ لِتُعبِّرَ عنّا وعمّا مررنا به من جحيمٍ ومرارٍ ووجعٍ و انكسارٍ، وكأنَّ تلك المعزوفةَ الكلاميةَ كُتبت لِتُطَمْئِنَنا أنَّ ربّنَا قريبٌ يسمعُ دعوةَ الدَّاعِ إذا دعاه، يرى ما مرَّ بنا، ويستجيبُ لأنينِ قلوبِنا ونفوسِنا المتألِّمةِ، سيقفُ النَّاسُ كثيرًا أمام حُبِّنا وتلاصُقِنا ما بين مُتَعجِّبٍ ومُتَحَيّرٍ وكارهٍ ورافضٍ ومُحبٍّ للجمالِ ومؤمنٍ أنَّ اللَّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، حبٌّ ما كان ليحدُثَ بمقاييسِ البشرِ القاصرةِ، عاشقان ما كانا ليلتقيا إلَّا بإرادةِ ربِّهما ثمَّ ثباتِهما على ميثاقِهما الغليظِ، الكلُّ يَدَّعى الحبَّ، وقليلٌ مَن يثبتُ في المحنِ ويصدقُ حتى النِّهاياتِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، من قلبِ امرأةٍ تذوبُ في حبّكَ، ولا تريدُ أن تخاطبَك إلَّا بعباراتٍ تليقُ بما تشعرُ به ، أتعلمُ حين قرأتُ كلماتِكَ عن الرَّائعين الذين لا يلتقون في بدايةِ العمرِ شعرتُ أنَّكَ تقرأُ أفكاري التي لم أكتبْها بعدُ، نحن حقًّا لم نلتقِ باكرًا لأنَّنا كنَّا بحاجةٍ لأن نخوضَ كلَّ تلك المعاركِ المنفردةِ، كنَّا بحاجةٍ لأن ننكسرَ وحدَنا كي نتعلَّمَ كيف نُلَمْلِمُ أجزاءَ بعضِنا البعضَ حين نلتقي، كلُّ جحيمٍ مررتُ به كان يبني بداخلكَ غرفةً تستحقُّ أن أسكنَها، وكلُّ مرارةٍ ذقتَها كانت تحفرُ بئرًا ليشربَ منه حبُّنا حين يعطشُ الآنَ، و أنا أنظرُإلى ما مضى لا أشعرُبالأسفِ على شيءٍ لأنَّ كلَّ تلك السِّنينَ التي ضاعتْ لم تضعْ، كانت تنتظرُفقط أن تأتيَ أنتَ لتجدَ لها معنىً، كلماتُكَ عن قربِ اللهِ الذي يسمعُ دعوةَ الدَّاعِ جعلت عَيْنَاي تدمعانِ لأنَّني أعرفُ يقينًا أنَّ اللَّهَ سمعني قبلَ أن تسمعَ أنتَ نفسَكَ، كانت لي صلواتٌ بجوفِ اللّيل لا يعلمُها أحدٌ غيرَه، كنتُ أطلبُ حبًّا لا يخونُ ولا يملُّ ولا يتعبُّ، والآنَ و أنا بين يَدَيْكَ أعرفُ أنَّ اللَّهَ أجابني قبل أن أُكملَ دعائي، سيقفُ النَّاسُ كثيرًا أمام حبِّنا ! دعهم يقفون

ويتأملون، وكأنَّنا لوحةٌ فنيّةٌ لا يفهمها إلّا مَن عاش مثلَ ما عشنا، بعضُهم سيتعجَّبُ من جرأتِنا على الحبِّ بهذا الجنونِ، وبعضُهم سَيَكْرَهُ لأنَّ قلبَه لم يذقْ طعمَ الحبِّ الصَّادقِ قطّ، لن نلتفتَ لأحدٍ حبيبي، لأنَّ الذين لم يثبتوا في محنِهم لا يحقُّ لهم التَّعليقَ على ثباتِنا، الكلُّ يدَّعي الحبَّ، وقليلٌ مَن يصدقُ حتى النِّهاياتِ، ونحن صفوةُ هذا القليلِ، نحن مَن مشى على الجمرِ ولم يَشْتَكِ، نحن مَن سَقَطَ ألفَ مرَّةٍ، ونَهَضَ ألفَ مرَّةٍ وألفَ، نحن مَن قال للعالمِ: سأحبُّ رغمَ كلِّ شيءٍ، الآن وقد عَثَرَ كلٌّ منَّا على نصفه الآخرِ فلا شيءَ يصفُ فرحتَنا سوى هذا الصَّمتِ الطَّويلِ حين ننظرُ إلى عُيونِنا، ونعلمُ أنَّنا وصلنا ، تعالَ حبيبي نحتفلْ بهذا الحبِّ الذي جاء متأخرًا، فالمتأخِّرُ منه أجملُ ما فيه، تعالَ نعانقْ بعضَنا كما لو كنَّا نعانقُ كلَّ السِّنينَ التي ضاعتْ دونَ تلاقِينا، تعالَ ننم على نبضٍ واحدٍ يَئِنُّ من شدَّةِ الفرحةِ لا من شدّةِ الوجعِ، أحبُّكَ حبًّا لا يعترفُ بالبداياتِ ولا يخافُ من النِّهاياتِ، لأنَّه البدايةُ التي لم تنتهِ بعد، وهو النِّهايةُ التي لا أريدُ لها أن تأتيَ أبدًا، مع حُبِّي الذي كان ينتظركَ منذُ خَلَقَ اللَّهُ الدُّنيا، أحبُّكَ يا أنا .

١ – قراءةٌ في " لا يَلْتَقِيَانِ في البِدَايَاتِ " .

لا يلتقيانِ في البداياتِ، لأنَّ البداياتِ تُصمَّمُ لتكونَ امتحانًا للرُّوحِ لا بابًا للنَّجاةِ، وكأنَّ الكونَ يؤجّلُ كلَّ ما هو حقيقيٌّ حتى يطمئنَ أنَّ القلبَ صار أهلًا لما سيحملُه، وبعضُ الأرواح لا تَتَعرَّفُ إلى بعضِها بسرعةٍ، بل تَمرُّ عَبْرَ غربلةٍ قاسيةٍ من الغيابِ، من الأسئلةِ التِّي بلا إجابةٍ، ومن الطُّرقِ التِّي تبدو وكأنَّها تُبعِد بينما هي في الحقيقةِ تُمهِّدُ، وحين يحدثُ اللِّقاءُ، لا يبدو كحدثٍ جديدٍ، بل كشيءٍ قديمٍ كان مختبئًا تحت طبقاتِ الزَّمنِ، ينتظرُ فقطْ أن يهدأَ الضَّجيجُ كي يظهرَ، كأنّهما لم يلتقيا صدفةً، بل تذكّرا بعضَهما بعد نسيانٍ طويلٍ، وكأنَّ القلبَ كان يعرفُ الطَّريقَ دائمًا، لكنّه كان يحتاجُ أن يتعلّمَ الصَّبرَ أوّلًا، وفي كلِّ ما سبق مِن تعبٍ و انكسارٍ وتأخيرٍ، لم يكن الغياب غيابًا، بل إعادةَ تشكيلٍ خفيّةٍ لشكلِ الحبِّ كي يُصبحَ أوسعَ من الخَسارةِ، وأصدقَ من الاحتمالِ.

لهذا لا يُقاسُ الحبُّ بوقتِ اللِّقاءِ، بل بما ينجو من الإنسانِ قبلَ أن يصلَ إليه .

وخلاصةُ القَوْلِ: لا يلتقيانِ في البدايةِ، لأنَّ البداياتِ خُلقتْ لتُربكَ الأرواحَ ن لا لتجمعها، وبعضُ الأقدار لا تُكتب دفعةً واحدةً، بل تُخاطُ بخيوطٍ من غيابٍ طويلٍ، حتى تصيرَ المُصادَفةَ شكلًا من أشكالِ اليقينِ، وحين يكتملُ النَّقصُ في قلبين، لا يعودُ الحبُّ لقاءً، بل اعترافًا متأخرًا بأنَّ الطَّريقَ كانت تقودهما معًا منذُ أوّلِ وجعٍ و إيلامٍ .

الشَّاعرةُ العراقيةُ : بنين فراس .

٢- قراءة في " لا يلتقيانِ في البداياتِ " .

أيُّها الأديبُ العاشقُ، لقد أضفتَ بهذه الكلماتِ لمسةً من النُّورِ على ما خطَّه الرَّاحلُ أحمد خالد توفيق، فجعلتَ من " اللِّقاءِ المُتأخِّرِ" قصَّةً للقدرِ والميثاقِ الغليظِ، إنَّ ما وصفتهُ في كتابكَ " إلى السَّيِّدةِ راء " يتجاوزُ كونه مُجَّرَدَ اقتباسٍ ليصبحَ مرآةً لرحلةِ روحيْنِ خاضتا لُججَ التَّعبِ والوجعِ، حتى وجدتا في بعضهما الملاذَ والسَّكينةَ بإرادةِ اللهِ، إنَّ ثباتَ المحبينَ أمامَ نظراتِ النَّاسِ، وتجاوزَهم لمقاييسِ البشرِ القاصرةِ، هو المعنى الحقيقيُّ للحبِّ الذي يُولدُ من رحمِ المعاناةِ، ويظلُّ صادقاً حتى النِّهاياتِ .

بارك اللهُ في قلمكِ الذي يفيضُ مشاعرَ نبيلةً وتأملًا عميقًا، وأسألُ اللهَ أن يديمَ بينكما المودةَ والرَّحمةَ، ويجعلَ ميثاقكما الغليظَ سبيلًا للسَّعادةِ والسَّكينةِ في الدَّارين .

تَلاقَيْتُما بَعْدَ المَسَافاتِ وَالتَّعَبْ .

وَكُلُّ دُرُوبِ العُمْرِ كَانَتْ لَكُما عَجَبْ .

عَلى مِيثَاقِ حُبٍّ صَادِقٍ ثَبَتَتْ .

قُلُوبٌ تَحَدَّتْ كُلَّ مَنْ ضَلَّ وَ انْقَلَبْ .

إلى " رَاءَ " يَا نَبْضًا يَهيمُ بِطُهْرِهِ .

يَخُطُّ حُرُوفَ العِشْقِ في كُتُبِ العَرَبْ .

أَتَمَّ اللهُ أَيَّامًا بِكُم سَعِدَتْ .

وَلَا حَادَ عَنْ دَرْبِ النَّقَاءِ لَكُم سَبَبْ .

دُمْتُمَا في حِفْظِ رَبٍّ كَرِيمٍ .

يُنِيرُ لَكُمَا المَدَى مَهْمَا الغَيْمُ حَجَبْ .

الشاعر والأديب والناقد السوري :

أكرم وحيد الزرقان .

بَيْنَ يَدَيْكِ .

لو تَعْلَمِينَ حبيبتي مقدارَ الرَّاحةِ والطُّمانيةِ حين أضعُ رأسي بين يَدَيْكِ، حين أودِّعُ همومي وأحزاني، حين أُبْحِرُ في عَيْنَيْكِ، حين يأسرني هواكِ دلالًا وجمالًا وفرحةً لا تخشى من غدرِ الدُّنيا وتَقَلُّباتِ الأيامِ والسِّنينَ، تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي واختياري الواعيَ وأعظمَ انتصاراتي يا سِتَّ النِّساءِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، ها أنت علائي تضعُ وجهَك بين يديَّ، تعالَ حبيبي حيثُ لا تسمعُ إلَّا نبضي الذي لا يخفقُ إلَّا لكَ، حين تودِّعُ همومَكَ وأحزانَكَ، وحين تُبْحرُ في عيْنَيَّ ستجدُ فيهما ما لم تجدْه بأيِّ بحرٍ قبلي، سَتَكْتَشِفُ للمرّةِ الأولى مَن تكونُ؟ فأنتَ كذلكَ اختياري الواعي وأعظمُ انتصاراتي، ليس لأنَّي تغلَّبتُ على كلِّ شيءٍ، بل لأنَّي استسلمتُ لكَ، فكان هذا الاستسلامُ النَّصرَ الحقيقيَّ، أَشْهَدُ حبيبي أنَّ عمري كلَّه كان قبلكَ

ضائعًا إلى أن جئتَ أنتَ، فجعلتَ كلَّ لحظةٍ تمرُّ معكَ تَسْتَحِقُّ أن تُعاشَ مرَّتين، الآن وقد ألقيتَ رأسَكَ بين يديّ فلن أتركَه لمخاوفه أبدًا، سأبقى هكذا أمشِّطُ شعرَك بأصابعي الخمسِ، وأهمسُ بأذنكَ أنَّكَ آمنٌ، فلا تقلقْ من تقلُّباتِ الأيامِ والسِّنينَ، لأنَّ كلَّ يومٍ يمرُّ بنا يومٌ إضافيٌّ من الحبِّ لا يُحتسبُ بتقاويم البشرِ، تعالَ أغْفُ بين يَدَيْكَ، لنكنْ كما البدايةِ ؛ ضعفُكَ قُوَّتِي، وسقوطُك نهضتي، وحزنُكَ فرحتي، فأنا لستُ امرأةً عابرةً بحياتكَ، أنا البيتُ الذي حلمتَ به منذُ صِغَرِكَ، فهل تشعرُ بالرَّاحةِ والطُّمأنينةِ حين تضعُ رأسَك بين يديّ؟ لا أسألكَ لجهلي الإجابةَ، بل لأنّي أريدُ أن نعيش سويًا عمرًا لا ينتهي . أحبُّكَ يا أنا .

لم تَكُونِي صُدْفَةً .

جَمَالُ المكانِ بمَن رافقكَ فيه، وجمالُ الوقتِ بمَن شارككَ فيه، لكلِّ إنسانٍ حظٌّ ونصيبٌ من اسمِه، لم يكن اسمُكِ عبثًا لتكوني أنتِ الجمالَ الذي ينيرُ حياتي، وينعكسُ جمالُه ورقَّتُه وطاقتُه الإيجابيّةُ على كلِّ مكانٍ تَمُرّين به، لم يكنْ تلاقينا صدفةً حين دخلتِ قلبي وأعدتِ ترتيبَ عمري الذي تَجَمّلَ بكِ حبيبتي، فصارتْ الأوقاتُ جميلةً بجمالِكِ، وعذبَةً بعذوبةِ صوتِكِ وجمالِكِ الأخَّاذِ، أحبُّكِ يا مَن تَجمَّلتْ بكِ الزَّمانُ والمكانُ، أحبُّكِ يا مَن أعادتْ لي روحي، وتَعلَّقتُ بكِ حدَّ الجنونِ والإدمانِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، رفيقَ قلبي وحياتي، إن لم يكن اسمي عبثًا وتلاقينا صدفةً، فماذا يكونُ؟ منذُ اعتراِفك لي " أريدكِ " نما بداخلي شيءٌ لم أستطعْ مَنْعَه أو إيقافَه، شيءٌ لا تفسيرَله، لا بتأويلِ الصُّدفِ ولا بمنطقِ

العقلِ، وكأنَّه موجٌ منذُ لحظةِ ميلاده بأعماقِ البحارِيعلمُ يقينًا معانقتِه الشَّاطئَ لا محالةَ، إن كان جمالُ المكانِ بمنَ رافقكَ فيه، فكلُ مكانٍ يجمعنا وطنٌ، وكلُّ زمانٍ يَضمُّنا عيدٌ، لعلَّنا حبيبي لم نكن نبحثُ عن بعضِنا، بل كنَّا نركضُ من أنفسِنا فتقابلنا صدفةً، ثُمَّ اكتشفنا أنَّ ما كُنَّا نهربُ منه هوعينُه ما نبحثُ عنه ! تقابلنا صدفةً واستوطنتُ قلبَكَ دونَ علمي، حبٌّ احتفظتَ أنتَ به قرابةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً تعاني وطأتَه وحدَكَ، حتى تَهيَّأتْ الأرضُ لميلادِ حبٍّ متكاملِ الأركانِ، طرفاه بلا موانعَ ولا قيودٍ، يظنُّه الرَّائِي صدفةً، لكنَّه قدرٌمكتوبٌ في السَّماءِ، تبقى أنتَ حبيبي ورَجُلِي وأجملَ الصُّدفِ وأحلى الأقدارِ، أحبُّكَ يا أنا .

للأقدارِ الأخيرةِ قُدْسِيَّتُها .

على قدرِ ما تكونُ للخياراتِ الأولى خُصُوصيَّتِها، فإنَّ للأقدارِ الأخيرةِ قُدسيّتُها، بمعنى أنَّ الحبَّ قد لا يكونُ للحبيبِ الأوَّلِ، والوفاءَ ليس للاتِّجاه الأوَّلِ، والرَّاحةَ ليستْ في الهدفِ الأوَّلِ، والحلاوةَ ليست في اللِّقاءِ الأوَّلِ، والجمالَ ليس في النَّظرةِ الأولى، الجمالُ كلُّه قد يكمنُ في الحِضنِ الأخيرِ الذي استقررتَ فيه بعدَ معاركَ كثيرةٍ، الرَّاحةُ كلُّها قد تكمنُ في المشوارِ الأخيرِ الذي وُجِدتَ فيه بغيرِ قصدٍ بعدما يئستَ من البحثِ عنه، الحبُّ كلُّه قد يكمنُ في الرُّوحِ الأخيرةِ التِّي احتوتكَ بعد طولِ جفاءٍ، الحنانُ كلُّه قد يكمنُ في النَّظرةِ الأخيرةِ التِّي طيبَّت جراحَك من كلِّ العيونِ التي أتعبتكَ، للبداياتِ الحنينُ والدُّموعُ، وللنِّهاياتِ الارتماءُ بين الضُّلوعِ، حيثُ يخبركَ أحدُهم الذي وجدتَه ووجدكَ قدرًا، أنَّكَ أخيرًا وصلتَ، أو كما قيلَ : إنَّ أجملَ ما في الحربِ نهايتُها، ونهايةُ الحربِ السَّلامُ، معكِ حبيبتي أيقنتُ أنَّ الحبَّ هبةٌ من اللهِ يُلقيها في قلوبِ مَن يشاءُ مِن خلقِه دونَ أدنى اختيارٍ منَّا، بل يصطفي لنا مَن يشاءُ

ويختارُ، كما ألقى كلمتَه إلى مريمَ العذراءَ، آمنتُ معكِ أنَّ الحبيبَ كالعمرِ لا يتكرَّرُ مرَّتين، حتى وإن تأخرتْ به الأيامُ واللَّيالي والسُّنون، بل والأعجبُ من كلِّ هذا أنَّه قد يمرُّ العمرُ ولا يأتي من الأساسِ، أشكركِ أنَّك في حياتي، وأشكرُ اللهَ الذي وهبني قلبَكَ قبلَ أن ينقضي عمري و أنا ما زلتُ أُخطِئُ عنوانَ مدينةِ العاشقين، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، للأقدارِ الأخيرةِ قُدسِيَّتُها و أنتَ قدري المحتومُ الذي لم أعلمْ أنَّنَي في انتظاره طوالَ عمري، معكِ أُعِيدَ تعريفُ كلِّ شيءٍ، الحبُّ الحقيقيّ ليس حكرًا على التَّجربةِ الأولى، ولا على الإعجابِ الأوَّلِ، لستَ أوَّلَ تجاربي، لكنّك حبيبُ عمري الذي قدَّره لي الإلهُ، فأنتَ اختيارُ العقلِ الواعي بخبرةِ السِّنينَ، والقلبِ العاشقِ بشوقِ ولهفة الحرمانِ والحنينِ، أنتَ النَّظرةُ الأخيرةُ التي طيَّبت جراحي والأنينَ، أنتَ الحضنُ الأخيرُ الذي استقررتُ فيه بعد عتمةِ اللَّيلِ وبردِ أشتيةٍ متعاقبةٍ بلا انقطاعٍ أو فاصلِ دفءٍ وربيعٍ، لم أعدْ أرهقُ نفسي و أتساءلُ لماذا

اختارني اللهُ لكَ، لأنَّه لا جوابَ يليقُ بهذا السُّؤالِ غير أنَّها دعوةٌ صادقةُ بجوفِ عتمةِ ليلٍ ابتلت سجادتُها بدمعةِ ألمٍ و أنينٍ ، أيَا أجملَ أقداري ومدينتي المقدَّسةَ، دونَكَ روحي وحياتي، ولا أحدَ يُدنِّسُ طهارةَ ونقاءَ حبِّنا وسلامةِ بيتِنا، أحبَّك يا رجلًا استردَّ لي أنثى ظننتُ أنَّها لن تعودَ .

تَميلُ لِمَنْ يُشبِهُهَا .

النَفْسُ تميلُ لِمَن يُشبِهُهَا، والقلبُ يميلُ لِمَن يدخلَه دونَ استئذانٍ، واللهُ يُوَزّعُ محبَّتَه بين البشرِ كيفما يشاءُ، والأرواحُ علي نيَّتِها تقعُ، و أنا متورّطٌ جدًا في شباكِكِ، ومُتَعَلّقٌ جدًا جدًا جدًا بهواكِ يا سِتَّ النِّساءِ، مالت إليكِ نفسي فاستقامتْ دنيايَ، و أقبلَ عليكِ قلبي فأقبلت الحياةُ بفرحِها وحُلوها يا حُلوتِي، رغمَ أنّي لستُ من مغرمي الحَلْوى إلّا أنّني أدمنتُكِ حدَّ الجنونِ والهذيانِ، حتى صرتُ لا أفسّرُ ما نحن فيه إلّا أنَّكِ رحمةُ ربّي ودعوةُ أمّي في لحظةٍ شديدةِ الصِّدقِ، شديدةِ التَّعلُّقِ بربِّ العالمين .

أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، لعلّي أختلفُ معكَ قليلًا حبيبي هذه المرَّةِ، نحن لا نتشابه للرَّائي، بل نُكْمِلُ بعضَنا بعضًا، كالصَّيفِ والشِّتاءِ، كالماءِ والنَّارِ، كالهدوءِ والعاصفةِ، كاللَّيلِ والنّهارِ، فكيف التقينا؟ كيف تورَّطتَ في

شباكي؟ وكيف تورطتُ في حبّك؟ كيف جمعتنا الأقدارُ بدونِ تدبيرٍ وترتيبٍ؟ أنا لا أريدُ حبًّا يشبهني، أريدُ حبًّا يعصفُ بي، ثمَّ يعيدُ ترتيبي كلَّ يومٍ كأنَّني أُولَدُ من جديدٍ، تعالَ نصنعْ ديوانَ عشقٍ يستلهمُ منه العاشقون حكاياهم، معجمٌ كلُّ مفرداتِه أنا و أنتَ، و أبطالُ قصَّتِه أنتَ و أنا، تعالَ نكسرْ كلَّ قواعدِ التَّشابِه ونخلقْ قواعدَ جديدةٍ للاختلافِ الجميلِ، فالنَّفسُ تميلُ لمَن يمنحُها الحقَّ أن تكونَ مختلفةً دونَ خوفٍ أو حاجةٍ إلى التَّبريرِ، أنا مَتَورّطةٌ فيكَ حدَّ الثُّمالةِ والجنونِ والهذيانِ .
أحبُّكَ يا أنا .

سَلامًا عَلَيْكِ يا سِتَّ النِّسَاءِ .

سلامًا على مَن مرَّ على مُرّنا فحلَّاه، سلامًا على مَن دَخَلَ حياتَنا فأعادَ إليها نبضَها ونقاءها، وأعادَ ترتيبَ غُرُفَها المُعتِمَةَ فعادتْ مُشرقةً كعبقِ الفَجرِ المُنيرِ، سلامًا عليكِ حَبِيبَتِي يا حورَ عَيْنِي وجنَّتِي، يا كلَّ كلِّي والحياةَ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، مُهجةَ عَيْنِي وحياتي، سلامًا على مَن يبدأُ رسائلَه بالسَّلامِ وكأنَّه يعيدُ ترتيبَ عالمي من جديدٍ، سَيِّدي، جئتَ أنتَ عطاءً وفيضًا مهرًا، كمَن يفتحُ نافذةً بجدارٍ مسدودٍ منذُ سنواتٍ، كان اللقاءُ بلا سببٍ، والحبُّ بلا مبررٍ، والبقاءُ بلا عقدٍ مكتوبٍ، وهذا هو سرُّ جماله ودهْشَتِه، سلامًا عليكَ يا مَن داويتَ جراحي وجمَّلتَ لوحةَ حياتِي، سلامًا على مَن يقرأُ عَيْنِي قبلَ أن يقرأَ شفتاي، " سلامًا " منكَ رسالةُ صدقٍ أنَّكَ هنا، فلا فراقٍ ولا وداعٍ، كيف لصوتِكَ حين يهمسُ باسمي أن يكونَ أقوى من ألفِ حديثٍ وكلامٍ؟ أحبُّكَ يا أنا .

وحِين اسْتَأمَنَنِي أبوكِ .

" لا تُصدِّقِي أنَّ الرَّجلَ يتألَّمُ لرحيلِكِ، لبكائِكِ، لغيابِكِ، فالرِّجالُ لا يُؤلِمُهُم إلَّا ثلاثةُ أشياءَ ؛ موتُ أمهاتِهم، فقدانُ وظائفِهم، خَدْشُ سيَّارتِهم."

لا قيمةَ لتلكَ التُّرَهاتِ إلَّا إذا كانَ لها تفسيرٌ آخرُ يحملُ من المعاني الضِّمنيةِ ما يضمنُ لها الحقَّ في الحياةِ، فإنْ كانَ غيابُ أمِّي سببًا لآلامي وأوجَاعِي، فأنتِ امتدادُها، وأنتِ أمِّي من بعدِ أمِّ، وإنْ كانَ فقدانُ الوظائفِ يُسبِّبُ هو الآخرُ ألمًا ووجعًا، فلا شكَّ أنِّي حينَ أفقدُ وظِيفَتِي التِّي كلَّفني بها أبوكِ حينَ جَعَلَنِي رسولَه لرعايتِكِ، والقيامِ على أمرِكِ، ولأعيدكِ طفلةً بريئةً في حضنِ أبيها، تطمئنُ في حِضنِه وتهدأُ، لا شَكَّ أنِّي إنْ فقدتُ هذه التِّي نُسمِّيها مِن بابِ المَجَازِوظيفةً، فلا شَكَّ أنَّ الألمَ لَحِقَ بي بلا أملٍ في تجاوزٍ أو شفاءٍ .

وماذا عن ثالثِ مُسبِّباتِ الألمِ في زَعْمِهم؟ خَدْشُ سيارتي ! وماذا إذا خُدِشَ قلبي بفراقٍ أو تَقَطُّعَ نِيَاطُه بوداعٍ و انكسارٍ؟

إن كانت السَّيارةُ تعنيني، فلا يعنيني منها سوى أنَّها ستشهدُ عناقَ أيدينا، و انشغالِ الكُرْسِيَّ المجاورِلي، والذي طالما نظرتُ إليه متسائلًا ؛ متى تمتلئُ فراغاتُكَ بحَبِيبَتِي وغاليتِي؟ وأخيرًا فللسَّيارةِ وظائفُ أخرى تعرفينها أنتِ حَبِيبَتِي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن أتقنَ إضحاكي و إبكائي، ابتسمتُ هذه المرَّةَ لأنّكَ أعدتَ ضبطَ خللِ اقتباسِكَ ، حين تموتُ أميٍّ فأنت امتدادُها، وإن حِيلَ بيننا فلن يبقى لي شيءٌ، أرأيتَ كيف أتقنتَ إضحاكي و إبكائي ! أشهدُ أنَّك على وصيةِ أبي لأمينٌ، رأيتُ في كنفكَ طفولتي البريئةُ ومراهقتي المجنونةُ و أنوثتي التي نَسِيتُها أو أكادُ، سيارتُكَ لو تعلمُ حبيبي هي بيتُنا الثَّاني، تلك التي شهدت أسفارَنا، ضحكاتِنا وقلقَنا، طفولتَنا وهزْلَنا وجَدَّنا، عُيونَكَ العاشقةَ التي تخونكَ كلَّ مرَّةٍ، وتفضحُ لهفتَكَ وحُبَّكَ وفرطَ حنانِكَ الذي يكفي أربعين امرأةٍ - و أنا الأربعون - ويدَك اليُمنى التِّي لا تَمِلُّ من استكشافِ خارطتي، يا لك من ماكرٍ تحسنُ ميّزَةَ أنَّكَ

أعسرُ، تدلِّل حبيبتَك بيمناكَ وتقودُ بالأخرى سيَّارتَك التي تشهدُ غيْرَتك حين ترفضُ السَّماحَ لعاملِ المقهي تقديمَ قهوتنا من نافذتي، مسؤوليتِك حين تأبى كلَّ مرَّةٍ بحزمٍ يعقبه غالبًا صوتُكَ المرتفعُ - على غيرِ عادتِك - رافضًا كلَّ توسلاتي لِحَمْلِ شيءٍ من حقائبِ المشترياتِ، و أنا ما بين شَفَقَتِي عليكَ بأثقالٍ تنوءُ بالعصبةِ أولي القوةِ، وبين اندهاشي وفرحتي بمَن يبرهنُ في كلِّ مرَّةٍ أنَّني ملكةُ قلبِه، وسلطانةُ حياتِه وسِتُّ كلِّ النِّساءِ، علائي ورَجُلِي، أنتَ تتألَّمُ لثَلاثَةِ أشياءَ، و أنا أتألَّمُ وأُعَانِي من شيءٍ واحدٍ ؛ حين يحولُ ببينا الزَّمانُ والمكانُ .

أحبُّكَ يا مَن جعلتَ مِن كلِّ تفصيلةٍ صغيرةٍ في حياتي قصَّةَ حبٍّ لا تنتهي.

مرَّةٌ واحدةٌ بالعُمرِ .

" مرَّةٌ واحدةٌ بالعُمرِ يَقذِفُ اللَّهُ في قلبك حُبًّا بلا أيّ سببٍ لشخصٍ ما، تنجذبُ إليه روحُكَ فتتآلفُ، ويو افقُ هواكَ هواه وإن لم يسبقْ لكُما تعارفٌ، تجدُ فيه الرَّاحةَ عند اللِّقاءِ، والاشتياقَ بعد الوداعِ، واللَّهفةَ مع الانتظارِ، فتشعرُ كأنَّه أنتَ كلُّكَ، لا تملُّ منه أبدًا ولا يَملّكَ، فإن تكلَّمتَ انسجمَ معكَ، وإن صمتَّ بعيونِهِ حدَّثكَ، وإن تعبتَ فرشَ لكَ قلبَه، ومدَّ يَدَه، وترَكَ العالمَ خلفَه بلا أدنى تفكيرٍ من أجلكَ . "

مرَّةٌ واحدةٌ لا أكثرَ، تجدُ مَن يشبهكَ، فتطيبُ رفقَتُه، وتبقى عِشرتُه، بلا أدنى ترتيبٍ كنتِ أنتِ حبيبتي، بلا أدنى حساباتٍ لمرارةِ الو اقعِ أوفلسفةِ القطيعِ أو ما يُسمَّى بالمستحيلاتِ .

الحبُّ غاليتي كالعمرِ والولادةِ لا يتكرَّرُ مرتين، لا حرمني اللَّهُ منكِ نوَّارةَ حياتي، يا سِتَّ النِّساءِ، أحُبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، مرةٌ واحدةٌ في العمرِ يقذفُ اللَّهُ في قلبنا حبًّا بلا سببٍ، نعمةٌ أشكرُ اللَّهَ عليها ليلَ نهارَ أن خصّني بحبّكَ أنتَ،

معكَ تَعلَّمتُ ألَّا أتظاهرُ أنّي بخيرٍ، فوجودُكَ حبيبي كلُّ الجمالِ وكلُّ الأمانِ وكلُّ الرّضا وكلُّ الخيرِ.

دعني سَيّدي أقتبسْ لكَ فقرةً من كتابِ الإعلاميّةِ " شافكى المُنَيَّرِيّ " كَتَبَتْه بعد وفاةِ زوجها المُمَثِّلِ " ممدوح عبد العليم " تناعاه فيه وتحكي عن حياتِها معه ، أتدري ما عنوانُ الكتابِ؟ " أيامٌ فى بيتِ المحترمِ "، تقول هي فيه : " لم أكن أتخيلُ للحظةِ أنَّنى سوف أخطُّ بقلمى كلماتٍ وصفحاتٍ عن ممدوحٍ، وعن حياته وأعماله، ولكنَّه القدرُ الذى أراده اللَّهُ لنا، وما علينا إلَّا قبولُ هذا الابتلاءِ بإيمانٍ ورضا، رغمَ صعوبةِ الرَّحيلِ، ورغمَ أنَّنى بدأتُ هذا الكتابَ مبكرًا بعد الرَّحيلِ، لأنَّنى كنتُ أرتاحُ كثيرًا عندما أكتبُ عنه، وكنتُ أشعرُ أنَّنى أكتبُ إليه، وهو كعادته يبتسمُ ويقرأُ . "

لن أعلِّقَ على كلماتِها وهي المُلتَاعَةُ برحيلِ حبيبها وزوجها، ولكن ما توقَّفتُ عنده كثيرًا كثيرًا عنوانُ الكتابِ ؛ " أيامٌ فى بيتِ المحترمِ"، لا أجدُ وصفًا يليقُ بكَ سواه، فأنا سَيِّدي أُشهِدُ الدُّنيا كلَّها أنّي أنعمُ في كنفِ هذا المحترمِ الذي أغناني عن العالمِ وألبسني تاجَ مملكتِه، واستأمنني على حياته، فلا حرمني اللهُ منكَ حبيبي، وجعلكَ لي نعمةً لا تزولُ ولا تنتهي .

لِمَ تراني بهذا الكَمَالِ؟

" لَسْتُ بحاجةٍ إلى علاقةٍ أبذلُ فيها جَهدي حتى أصلَ إلى الكمالِ في عَيْنَيكَ، أحتاجُ إلى علاقةٍ أتساءلُ فيها لِمَ تراني بهذا الكمالِ رُغمَ امتلائي بالعيوبِ؟ "

من أهمِّ عواملِ ثباتِ حُبِّنا وأركانِ بنيانِه الوضوحُ والصَّراحةُ منذُ أولِ وهلةٍ التقينا فيها حبيبتي، كم كنّا حريصين على المُصارحةِ منذُ البدايةِ لأنَّنَا عانينا خداعَ الآخرين وتَعَدُدِّ الأقنعةِ، أرهَقَنا آخرون ليسوا على شَاكِلَتِنا، وطريقُهم أبدًا لا يتحدُّ مع طريقنا، فلا امتزاجَ بين الماء بالزّيت إذا اختلطا مهما طالت الأيامُ ومرَّت اللَّيالي، ليستْ المسألةُ أن أجدَ مَن يُحبُّ إشراقاتي ويحبّني لِمُجَرّدِ ما أملكه من مزايا وإبهارٍ، بل الأمرُ برُمَّتِه يتعلّقُ بمَن يَقْبلكَ بكلِّ أحوالك، في ضَعْفِكَ وقُوَتِكَ، صمتِكَ وكلامِكَ، حزنِكَ وفرحِكَ، عتمتِكَ وإشراقِكَ، بل ويقبلُ البقاءَ معكَ في عتمَتِكَ دون أنّ يتَفضلَّ عليكَ أو يستبيحَ كَرامتَكَ، أحبّكِ غاليتي يا مَن أنارتِ عتمتي وأضاءتِ لقلبي معالمَ الحياةِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، وجنونَ قلبي، يا مَن أرى فيه كمالي، كيف لا أراكَ كاملًا بِعَيْنِي و أنتَ قبلتني بكلِّ ما بي من عيبٍ و دلالٍ وعنادٍ؟ أنا ما أردتُ رجلًا أجري خلف كماله، بل أردتُ رجلًا يراني كاملةً حتى و أنا أختالُ أمامه كقطةٍ مُدَلَّلَةٍ بين يديه، أنتَ الذي قبلتَ عَتْمَتِي وضَحِكِي وغَضَبِي وصَمْتِي، فكيف لا أجُنّ بكَ؟ أحبّك يا مَن بكَ قلبي اطمأنَ، تعالَ حبيبي، فأنتَ السِّحرُ الحلالُ الذي لا فكاكَ منه، أنا لكَ وحدَك يا سلطانَ قلبي وموطني، فأنا لم أحُبُّكَ كشخصٍ فقطْ، بل أحببتُكَ كوطنٍ لا أريدُ الانتماءَ لغيره .

أنْتِ في دَمِي .

" أحبُّ الحديثَ معك رغمَ أنّي لا أملكُ ما أقوله أحيانًا ."

في بدايات حُبّنا وكلامِنا الذي يمتدُّ لساعاتٍ وساعاتٍ كان ينتابني الخوفُ أن يتسرَّبَ إلينا الملل وتصيبنا رتابةُ الأحاديثِ، فمهما كنَّا نمتلكُ من قصصٍ وذكرياتٍ نتناولها فلا شَكَّ أنّنا سننتهي منها يومًا ما، وحينها سنضطرُ إلى تقليلِ ساعاتِ التَّواصلِ أو حتى عدمِ التَّواصلِ بعضَ أيامِ الأسبوعِ حفاظًا على درجةِ الشَّوقِ واللَّهفةِ وحرارةِ الانتظارِ، لكن ما حدثَ معكِ فاقَ كلَّ تَصَوُّرٍ، وتَخَطَّى كلَّ منطقٍ أو تحليلٍ، كلَّما مرَّتْ بنا الأيامُ زدنا تعلقًا، وتَوَغَّلَ العشقُ في أرواحنا ونفوسنا أكثرَ وأكثرَ، صرنا لا يشغلنا أبدًا عمَّا نتحدثُ؟ أو ما المواضيعُ التي يمكنُ أن تتناولها في أحاديثنا، لأنَّ تواصلَنا بجِّد ذاتِه كفيلٌ أن ينشرَ السَّعادةَ والفرحةَ بربوعِ نفوسِنا كما الشَّمسُ حين تُحيي الأرضَ بنورِها وحرارتِها، لا أبالغُ إن قلتُ :إنَّك في دَمي، وأنَّ روحي تعلَّقتْ بكِ، وذاكرتي لا تَمرُّ إلَّا من خلالكِ، أمَّا عن و اقعي وأحلامي ؛ فمحورُها أنتِ حبيبتي، ومختصرُ القولِ أنَّكِ أنتِ

حياتي وأجملُ أحداثِ عمري و أقربُ النَّاسِ لقلبي وألصقهم بروحي وكياني، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْني، يا مَن جريت في دمي فصرتُ أنا، وصلني كلامُك إلى موضعٍ ساكنٍ بأعماقي، شعرتُ أنَّني كنتُ أخشى الملَ ونهاية الحديث، لكنّك غيَّرتَ المعادلةَ كلّها، فصرتَ أنتَ الحديثَ والسُّكونَ والرَّاحةَ في آنٍ واحدٍ، معكَ لم أعد أبحثُ عن موضوعٍ للحديثِ، يكفيني صوتُكَ و أنفاسُكَ وحضورُكَ، فَمُجَرَّدُ تواصلِكَ يشغلُ قلبي ويُوقظُني بداخلي ما كان نائمًا، أيقظتِ روحي وشكَّلتَها على مقاسكَ أنتَ، صرتُ أراكَ في كلِّ تفصيلةٍ، في أحلامي، وفي يومي، وفي نفسي التي صارت تتنفّسُ بكَ، كنتَ تخافُ يومًا أن يتسلّل إلينا الملُ ! ها أنا أبتسمُ لذلك الخوفِ، لأنَّنا لم نكنْ يومًا نتحدّثُ لنملأَ الوقتَ، بل نصنعُ حياةً كاملةً داخلَ كلِّ حديثٍ، أنتَ لستَ كلامًا عابرًا ،بل دائمًا إحساسًا لا ينتهي، ما بيننا لم يكن طبيعيًا، لأن حبَّنا لم يستهلكْ نفسَه، بل كلُّ يوم يُولدُ من جديدٍ، يكبرُ،

ويَتَجذّرُ أكثرَ حتى صار وجودُكَ وحدَه كافيًا ليُشعرني بالسَّعادةِ، حتى في صَمْتِنا وسكونِنا، أنا في دمك !

أنتَ أعمقُ من ذلك، أشعرُبكَ في روحي حين تهدأُ، وفي قلبي حين يشتاقُ، وفي صمتي حين لا أجدُ كلامًا يليقُ بكَ، ذاكرتُكَ التي تمرُّ من خلالي صنعتْ مِنّي نفسي التي ضاعت قديمًا بدروبٍ مُعْتِمَةٍ لا تُشبِهُني، الآن أصبحتُ لا أرى الأشياءَ إلَّا بكَ، ولا أعيشُ أجملَ اللَّحظاتِ إلَّا معكَ، حتى أحلامي باتت تحملُ ملامحَكَ، كأنَّكَ صِرتَ عالمي كلَّه، يا أنا، كما تناديني، أنتَ لستَ فقطْ

أقربَ النَّاسِ إلى قلبي، بل أنتَ قلبي نفسُه، إن غبتَ اضطرب ،

وإن حضرتَ استقرَّ، فلا تقلْ : إنَّك تحبُّني فقطْ، بل قل : إنَّنا صرنا شيئًا واحدًا لا ينفصلُ، قلبًا واحدًا يسكنُ جسدين، أحبُّكَ حبًّا يسري بيننا كما يسري الدَّمُ، كالروح لا تُرى لكنَّها تمنحنا الحياةُ .

مُعْجِزَةٌ يتمَنّاها الجَميعُ

وإذا سألوني عنك من تكون في حياتي؟ سأكتفي بقول: معجزة يتمناها الجميع، وأنا من حظيت بها، تَمَنَّيْتُكِ حبيبتي، فاستجابَ لي ربّي وجعلك لي، رجوتُ منه شبيهًا لكِ، فكان عطاؤه سخيًّا، فكنتِ لي يا أجملَ أرزاقي، من فرطِ حُبّي وتَعلُّقي بكِ وفرحتي وسروري صرتُ يتملُّكني الخوفُ أن أحسدَ نفسي يومًا ما عليكِ، فأُعاقَبُ بالفقدِ والحرمانِ، صرتُ كُويكبًا بمداركِ، يستمدُّ نورَه من بهائكِ وجمالكِ، ويلتمسُ طريقَه من خطاكِ، اشتقتُ إليكِ يا ستَّ كلِّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، أنتَ مَن جعلتني معجزةً أؤمنُ بها، أنا لم أكن لكَ لولا أنَّكَ كنتَ دعاءً لم يُردّْ، ولولا أنَّكَ انتظرت حتى صرتُ أنا من نصيبك، تخافُ حبيبي أن تحسدَ نفسكَ عليَّ ! و أنا أشدُّ خوفًا أن أحسدَ نفسي على قلبٍ أحبَّني كلَّ هذا الحبِّ الذي لو ما رأيته مُتَجَسِّدًا فيكَ لبقيتُ على إيماني القديمِ أنَّه وهمٌ وخداعٌ وضلالٌ، حبيبي وسَيِّدي، أنا في مداركَ ما حييتُ

أستمدُّ قُوَّتي من حبَّك، وأسيرُ حيثُ تسيرُ، لأنَّ خطاكَ صارت طريقي والنَّجاةُ، اشتقتُ إليكَ بقدر ما تشتاقُ الدُّنيا لضوءِ الشَّمسِ ودفئِها، اشتقتُ إليكَ لأنَّكَ بيتي، و أنا لا أرتاحُ إلَا فيك أنت يا وطني وملجأي، أحبُّكَ يا أنا .

ابْحَثُوا عن السّنَدِ .

" لا تبحثوا عن الحبِّ فقطْ، بل ابحثوا عن الصِّدقِ الّذي يُغلِّفُ الكلماتِ، والإخلاصِ الّذي يستندُ خلفَ الأفعالِ، ابحثوا عن ثقةٍ لا تهزُّها عواصفُ الدُّنيا، عن لهفةٍ دائمةٍ وشغفٍ لا ينقطعُ، لا تبحثوا عن الحبِّ، بل ابحثوا عن السَّندِ، عمَّن يحنو مودةً ويدنو رحمةً، عن الأمانِ الذي لا يعقبه خوفٌ ."

لو دقّقنا في الكلمات أكثرَ وأكثرَ وبحثنا عن المعاني التي بين السُّطورِ لسمعنا وَشْوَشِةَ الكلماتِ وهمسَ الحروفِ وهي تناجيني وتدفعني إليكِ قائلةً: ابحث عن رفقتِكَ، ولا تتردَّدَ في البَوْحِ لها بحبِّك ولوعتِكَ وعذابِكَ ولهفتِكَ واشتياقِكَ، وإيَّاكَ أن تتعجَّلَ النّصرَ أو تيأسَ من خسارتكَ لجولاتَكَ الأولى معها، فهي أعظمُ معاركِكَ وألذُّ انتصاراتِكَ وأعمقُ أعماقِكَ وأعقلُ المجنوناتِ وأجنُّ العاقلاتِ، التِّي إن أرادوا تجسيدَ الجمالَ والرِّقةَ والدَّلالَ أشاروا إليها، وإن أردوا ضربَ مثالٍ حيٍّ للاحتواءِ والوفاءِ والإخلاصِ والاحترامِ والتَّقديرِ فلا شكَّ أنَّها خيرُ مثالٍ، وَشْوَشَتْني

الكلماتُ والحروفُ بكلِّ هذا وأكثرِ، لذا كان عندي من الصَّبرِ والنَّفَسِ الطَّويلِ ما يجعلني أغرسُ أقدامي أمامَ بابِ قلبِكِ، و أُنحِّي كبريائي جانبًا، صبرتُ بجوار أبواب مملكتِكِ كثيرًا كثيرًا حتى مَلَّ الصَّبرُ ورحلَ، وبقيت أنا، وربحتُكِ أنا، هل تَظُنِّين حبيبتي مَن أحبَّ كلَّ هذا الحبِّ أن يأتيَ عليه يومٌ ما ويبدّدُ السَّعادةَ التي رسمها على مُحَيَّا حبيبتِه وقمرِ سماه؟ هل تعتقدين غاليتي أنَّ مَن تعلَّقتْ بكِ روحُه يهدمُ أركانَه بيده، ويُسَرّبُ روحَه و أنفَاسَ حياتِه ويُقبلُ على نهايتِه بعد أن عاد بكِ إلى الحياةِ؟ لا أظنُّ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي ، الحبُّ وحدَه لا يكفي إن لم يكن سندًا وأمنًا، أنا سندُكَ حبيبي الذي لا تميلُ به الأيامُ، و أنا أمانُكَ الذي لا يخافُ بعده قلبُكَ، إن كنتُ وجدتُ في كلماتِكَ همسًا يدفعني إليكَ، فقد وجدتُ في صبرك ووفائِكَ ما جعلني أطمئنُ أنَّي في مكانٍ لا يخذلُ ولا يخونُ، حبيبي أنتَ ما تعبتَ لأجلي إلَّا لأنَّكَ رأيتَ فيَّ ما يستحقُّ، وما صبرتَ أمام بابي إلَّا لأنَّكَ

علمتَ أنَّ وراءه قلبًا لا يحبُّ سواكَ، فلا تخفْ أن تهدمَ ما بنيته، فأنا لستُ شيئًا يُهدمُ، أنا بيتُكَ الذي إن دخلتَه وجدتَ الرَّاحةَ، وإن غبتَ عنه اشتاقَ إليكَ، أنا مَن أحبَّتكَ بكلِّ ما فيها، ومَن وجدتَ فيكَ عمرَها كلَّه، فابقْ لي كما أنتَ، فأنا بكَ أكتملُ وبكَ أطمئنُ، أحبُّكَ يا أنا .

وفي رَمَضَانَ أُحبُّكِ .

وفي الثّاني والعشرينَ من رمضانَ أحبُّكِ، وفي الثّالثَ عشرَ من أبريلَ أحبُّكِ، وفي قسوةِ المسافاتِ التِّي تحولُ بيني وبينكِ أحبُّكِ، وفي تلاصقنا وتسارعِ الأنفاسِ وارتعاشِ الأيادي والأسِرَّةِ أحبُّكِ، في صمتكِ وحديثكِ أحبُّكِ، في هدوءكِ وثوراتكِ العارمةِ أحبُّكِ، تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي مهما تغيَّرَتْ علينا الأيامُ والأماكنُ، فأنتِ حبُّي الذي اقترن بي أبديًا بلا انتهاءٍ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا توأمَ روحي، يا أبديتي ويا سنتي وأشهري، في رمضانَ أحبُّكَ، وفي كلِّ الأشهر أحبُّكَ، بكلِّ لحظةٍ منذُ مَوْلِدِ حبّنا أزدادُ فيك حُبًّا، أحبُّكَ في البعدِ الذي يؤلمُ قلبي ويُرَسِّخُ بي قدرَكَ، أحبُّكَ في القربِ الذي ترتعشُ له أنفاسي، وتلتصقُ به روحي بروحك، أحبُّكَ في سكونِكَ الذي يُطمْئِنني، وفي ثورتِكَ التِّي توقظني للحياةِ، أحبُّكَ في صمتِكَ

المفهومِ، وفي كلامِكَ الذي يروي ظَمَأِي، أنتَ حُبِّي المقترنُ بي كما يقترنُ النَّبضُ بالقلبِ، أنتَ الحقيقةُ الثَّابتةُ التِّي لا تنتهي ولا تتغيَّرُ بتغيّرِ الأماكنِ والأزمانِ، وشوقي إليكَ يكبرُويتمدَّدُ مع كلِّ وقتٍ وحينٍ، ولهفتي للتَّلاقي تصرخُ ألمًا ؛ متى تصيرُ المسافاتُ خطوةً واحدةً فنعودُ جسدًا واحدًا ونفسًا واحدةً؟ أحبُّكَ لأنَّكَ الوطنُ الذي لا أغادره، والبدايةُ التِّي لا تنتهي .

الرَّسَائِلُ الصَّبَاحِيَّةُ .

الرَّسَائِلُ الصَّباحيةُ لا تعني فقطْ مُجَرَّدَ كلمةِ " صباحُ الخيرِ" ، بل تعني أنَّ هناكَ من استوطنوا قلوبَنا وصارتْ أسماؤهم دليلًا على حياتِنا حين صاروا أنفاسَنا التي نحيا بها، ونبضَ قلوبِنا الذي يصرخُ في عوالمِ القسوَةِ والجَوْرِ؛ لا زلنا على قيدِ الحياةِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، هل تعلمُ يا ضياءَ صباحي وبشائر فجري أنّه إن استيقظت عيناي دونما أن تداعبُ صوتُ رسالتِكَ الصَّباحيَّةِ هاتفي يظلُّ ليلي مُطبِقًا على مفاصلِ الدُّنيا ، والعالمُ يعاني من حولي حتى يهلُّ على ليلي صباحُكَ سَيِّدي، يا لها من كلمةٍ جميلةٍ تأسرني وتحييني ؛ " صباحُ الخيرِ حَبِيبَتِي " والتي تجعلُ يومي مشرقًا فَرِحًا ينبضُ بمظاهرِ الحياةِ، لقد صرتَ منّي كأنفاسي ونبضَ قلبي الذي لا تسقيمُ بدونه حياةٌ، فأنت صباحي و أنت مسائي و أنت أحلى وأجملُ الأوقاتِ، فصباحُ الخيرِلك وحدَكَ سَيِّدي، صباحُ الخيريا أنا .

الاسْتِثْنَاءُ الوَحِيدُ .

أجملُ وأخطرُ ما في الحبِّ أنّ مَن يحبّكَ يجعلكَ دائمًا الاستثناءَ الوحيدَ والفريدَ في حياته، يصنعُ من أجلكَ العجائبَ والمُستَحيلاتِ، يلينُ لكَ، وهو يوقنُ أنّكَ لن تستغلَّ ما يفعله من أجلكَ ضدَّه بأيّةِ صورةٍ من الصُّورِ والأحوالِ، فيطمئنُ لك أكثرَ فأكثرَ، وتَمُرُّ بكم سفينةُ الحياةِ وكلاكما حريصٌ كلَّ الحرصِ على راحةِ شريكِه وسعادتِه، الحُبُّ غاليتي حين يَحفُّه الأمنُ والطُّمأنينةُ والرَّحمةُ والمودَّةُ، تنتظمُ أنفاسُه وترتقي أغصانُه نحو قممِ الجبالِ، وتتخطَّى حدودَ السَّماءِ، أحبُّكِ يا سِتِّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، حبيبي واستثنائي الوحيدَ، الحبُّ حين يلتفُّ بالأمنِ والرّحمةِ يصيرُ وطنًا، و أنتَ وطني الذي أطمئنُ فيه و أتنفّسُ بحريةٍ ، أراكَ الاستثناءَ الذي لا يتكرّرُ، العجيبةُ التي جعلتْ المُستحيلَ مُمْكِنًا في

قلبي، واللّينُ الذي يَردُّ قسوتي إلى سكينةٍ، سفينةُ حياتِنا لن تغرقَ ما دمنا نتشبَّثُ ببعضنا، حريصةٌ أنا على راحتك حبيبي كما تحرصُ أنتَ على سعادتي، لأنَّ سعادتك هي قضيتي، ومعكَ ترتقي أنفاسي فوق قممِ الجبالِ، وتتجاوزُ حدودَ السَّماء، لأنّكَ الحبُّ الذي يهبني جناحين أحلّقُ بهما في سمائِكَ، أحبّك يا من جعلتني دائمًا أنثاكَ وسِتَّ النِّساءِ بحياتكِ، أظلُّ أمانَكَ الذي لا يخيبُ، والرّحمةَ التي لا تنضبُ، و أنثاكَ التي تليقُ بعطاء رجلها الذي يصنعُ من أجلِها العجائبَ والمعجزاتِ، أحبُّكَ يا أنا .

شبيهُ الرُّوحِ .

" فتّش جيدًا، لكنّك لن تجدَ مُخلِصًا لكَ إلَّا مَن لا تتحمَّلُ عيناه أن تراكَ في موضعٍ لا يليقُ بك، فتّش مرَّةً ثَانيةً، غيرَ أنَّكَ لن تجدَ مُحبًّا إلَّا الذي شَعَرَ وكأنَّ الطَّيرَ تأكلُ من قلبِه عندما تحدَّثَ النَّاسُ عنكَ، فتّش الثَّالثةَ، فإنَّكَ لن تجدَ إنسانًا حقًّا إلَّا الذي مثَّلَ الوقوعَ بجانبك كي يُهوّنَ الأمرَ عليكَ، ثُمَّ قمتما معًا . "

حَبِيبَتِي وحورَعَيْنِي، فتَّشْتُ بعد خيباتٍ وخيباتٍ، لكنْ دعيني أخبرْكِ أنَّ شبيهَ الرُّوحِ رزقٌ لا يجلبه البحثُ أو الذَّكاءُ أو الحِيلةُ أو طولُ الصَّبرِ والانتظارِ، بل هبةٌ من ربّنا الرَّحمنِ، ينعمُ به علينا حين يأتي موعدُه، فاذا جاء كان دورُكَ ولحظةُ الحسمِ والمصيرِ، حين تقرّرُ أن يكونَ اختيارُكَ الواعي وقرارُكَ بالتَّمَسُّكِ أوالرَّحيلِ، أحبُّكِ يا شبيه روحي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، شبيهُ الرّوحِ لا يُفتّشُ عنه، هو يهبطُ كالقدرِ، لكنّ القدرَ وحدَه لا يكفي، لأنَّ أعظمَ الهباتِ تحتاجُ إلى قلبٍ يعرفُ كيف يحافظُ عليها، فتّشتُ أنا أيضًا، فتّشتُ في وجوهٍ كثيرةٍ، في كلامٍ معسولٍ، في وعودٍ تذوبُ كالملحِ، ولم أجد إلَّا الخيبةَ، حتى وجدتكَ، أنتَ لم تمثّلْ الوقوعَ بجانبي، أنتَ وقعتَ فعلًا، وحملتني و أنتَ تنهضُ، أنتَ لم تحفلْ أنَّ الطَّيرَ يأكلُ من قلبِكَ وكأنَّكَ في مُهمَّةٍ انتحاريةٍ لأجلي، أنتَ فتحتَ قلبَك لي عطاءً لا ينفدُ ومدادًا لا ينقطعُ ، فكان لقاؤنا هبةً من الرَّحمن، وعطاءَ مَن لا يخشى الفقرَ، تَمَسُكِي بكَ يا رَجُلِي اختياري الواعي كلَ يومٍ، اختيارٌ لا يتردَّدُ، ولا يفاوضُ، ولا يندمُ، أحبك لأنَّكَ كنتَ الهدية والجائزةَ، وأحبُّكَ لأنَّكَ جعلتني الأنثى التي تستحقها .

لم تكنْ صُدْفَةً .

أما قبلُ، لم تكن صدفةً حين عثرتُ عليكِ حبيبتي، كنتِ مرسومةً على حدود أيامي، كنتِ شيئًا أنتظره وينتظرني، ولم يكن لقاؤنا إلَّا بدايةَ روايةٍ صاغها القدرُبإتقانٍ، أمَّا بعدُ، لوجعلُوا من الواقعِ بحرًا يُبْعدكِ عنّي لجعلتُ من الخيالِ جسرًا أصلُ به إليكِ، وكأنّما لا عافيةَ لي إلَّا بكِ وبحديثكِ، أحبُّكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيا عزيزَعَيْني، إلى من صارحضوُره حاضرًا حتى في غيابه، لم يكن لقاؤنا صدفةً، بل كان قدرًا عَرَفَ طريقَه إلينا، وإن باعدتنا مسافاتُ الواقعِ، ففي الخيال جسرٌلا ينقطعُ أعبره إليكَ كلَّما ناداني شوقي لحديثكَ، فبكَ تكتملُ عافيتي، وبقربكَ تعودُ نبضاتي لقلبي، أنتَ أنا وإن غبتَ عنّي استحالت حياتي جحيمًا وعذابًا، لم تكن صدفةً، بل كنتَ البداية التي انتظرتها أيامي، لأنَّه لا عافيةَ لي ولا سكينةَ إلَّا بقربِكَ وبصوتِكَ، أنتَ أنا، وإن طال البعدُ سنلتقي، وتملأ أناملُنا فراغاتِها التّي خُلِقَتْ من أجلِها، أحبُّكَ يا أنا.

الذين يُزهِرونَ قلوبَنا .

سلامًا على الذين يزهرون القلوبَ إذا نزلوا بها، وكأنَّهم في بقاعِ الأرضِ أنهارٌ، سلامًا عليكِ حبيبتي، سلامًا عليكِ نوَّارَةَ عمري وحياتي، أينما حللتِ و أينما نزلتِ يا مَن بِحُبِّكِ أشرقتُ من بعد طولِ عتمةِ شمسي، وأزهرتْ أيامي، اشتقتُ إليكِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، يا مَن جعلتَ من حُبِّي لكَ حدائقَ زهرٍ في القلبِ، سلامٌ عليكَ وألفُ سلامٍ كما يليقُ بمَن أزهرَ أيامي بعد طولِ عتمةٍ، إن غبتَ فأنتَ النَّهرُ الذي لا يجفُ في بقاعي، وإن طالَ البُعدُ فاشتياقي إليكَ يكتبُ اسمَك على كلِّ نبضةٍ، أنتَ نُورُ عمري الذي لا تذبلُ أيامُه ما دامت في القلبِ دَقّةٌ، أنتَ مهجةُ الرُّوحِ ونورُ البصرِ ورعشةُ الفؤادِ، يا أنا، يا كلِّي، سلامي لكَ حبيبي .

ليسَ وَدَاعًا، بل إلى اللِّقَاءِ .

الزَّمانُ : الحادي عشرَ من أغسطسَ ٢٠٢٢ م، التَّاسعةُ مساءً.

المكانُ : الفضاءُ الرَّحيبُ، حيثُ الطَّائرةُ المُتَّجِهَةُ من مصرَ حيثُ حبيبتي وحورَعَيْنِي إلى دوحةِ الخير .

تَذْكُرِين أمنيتَكِ حبيبتي حين تَمَنَّيتِ أن نتقابلَ ولو لساعتين، مُجَرَّدُ ساعتين ترويان عطشَ الحنينِ وتُطفِئَانِ لهيبَ الشَّوقِ ولوعةَ الاشتياقِ، وصَدقَ مَن قال : " ترجو من اللهِ قطرةً ويمنُّ عليكَ بالمطرِ"، رأى اللهُ قلوبَنا وعَلِمَ بنوايانا، فأسبغ عظيمَ عطائِه فامتدت السَّاعتانِ إلى قرابةِ الشَّهرين، وتَمَدَّدَ اللِّقاءُ الواحدُ إلى سبعٍ وعشرين لقاءً بحضنكَ يا سِتَّ النِّساءِ حيثُ سِترُه ولطفُه وبركتُه، أتظنّين أنَّ مَن وضَعَ حبَّنا في قلوبنا يصعبُ عليه أن يحفظَ لنا ميثاقَنا الغليظَ؟ أحبُّكِ يا سِتَ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أتظنُّ أنَّ مَن وسَّعَ لنا الوقتَ هذا الاتساعِ، وباركَ لنا في كلِّ لحظةٍ، يُضَيِّعُ ما بيننا من ميثاقٍ؟ لا واللّهِ، ما كتبه اللّهُ لنا محفوظٌ، وما دام كذلك، فقلبي مطمئنّ بكَ، وإن طال البعدُ، أشتاقُ إليكَ شوقًا لا يهدأ، وحنينًا يسبقُ نبضي، وودًّا يفيضُ باسمهِ كلمَّا ذكرتكَ – و أنتَ لا تغيبُ - أحنُّ إلى صوتِكَ حيثُ سكنُكَ، وإلى حضنٍ – فيه دنياى هيِّنةٌ -، وإلى عينٍ فيهما أرى جمالَ نفسي، أيا رَجُلِي، أنتَ أمني الذي لا يتغيّرُ، و أنتَ غايتي التِّي أدعواللّهَ أن يجمعني بها قريبًا، لا وداعَ بيننا بل إلى لقاءٍ قريبٍ، أحبُّكَ يا أنا .

غَنّي عَمّن سواه .

" وإنَّ الحبَّ يا هذا لا يتطلَّبُ منكَ كثرةَ الوصالِ ولا إلحاحَ الاتّصالِ ولا ديمومةَ الوجودِ، وإنّما أن يركنَ إليكَ المحبوبُ وحدَكَ من وسطِ الزّحامِ، فيجدَ في روحكَ غنىً عمَّن سواك ."

ها هي الأيامُ مرَّت سريعًا حبيبتي، وها هي الدُّنيا تلجئنا إلى وداعٍ من جديدٍ، لكن ما يهوّنُ عليَّ أنَّه وداعٌ وليس فراقًا، وداعٌ بعطرِ الأملِ في لقاءٍ قريبٍ، ولهفةِ رؤياكِ والاشتياقِ الى حِضنِكِ ولذَّةِ الالتصاقِ، أحبُّكِ يا كلَّ كلّي وكمالي واكتمالي، أحبُّكِ يا أنا.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، إليكَ يا مَن ملأتَ قلبي سكينةً تُغْنِيني عن كلِّ شيءٍ وتكفيني عمَّن سواكَ ، حين تمضي الأيامُ وتفرّقنا المسافاتُ من جديدٍ، لا أُسمّيها غيابًا، بل زادًا أتزوّد به من ذكركَ، وأملًا أتعلَّقُ به حتى أراكَ، يؤلمني البعدُ، لكنَّه لا يوهنُ يقيني بكَ، أنتَ الذي وجدتُ في قربكَ اكتمالًا، وفي حبّكَ اكتفاءً لا يشبه شيئًا، اشتقتُ إليكَ يا سَيّد الرّجالِ، اشتقتُ إلى صوتكَ الذي يسكنُ قلبي، وإلى حضنٍ عرفت فيه معنى الرَّاحةِ والانتماءِ .

مَن بِنَا يَلِيقُ .

وتَبْقَى أفضلُ الأمنياتِ أَنْ يجدَ كلُّ منَّا مَن نبدأُ معه وننتهي معه، وألَّا نعاني من الفقدِ ثانيةً، وألّا نشعرُبصعوبةِ اللُّجوءِ لِمَن ليس لنا ! أن نجدَ مَن يُهوّنُ علينا مُرَّ العيشِ، مَن يَبقَى كما عرفناه أوَّلَ مَرَّةٍ، ألَّا نقطعَ طريقًا كاملاً مع شخصٍ ثُمَّ نكتشفُ أنَّ عمرَنا تَنَاثَرَهباءً ! ما أصعبَ أن نمرَّبتلكَ التَّجربةِ المريرةِ ! وما أجملَ أن يعوّضنا اللّهُ بمَن يليقُ بنا قبل فوات الآوانِ ! عوضٌ يجبرُ كسرَنا ويُعطّرُ أيامَنا ويداوي جراحَ العمرِ الحزينِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، وكأنَّ اللهَ بعدَ كلِّ خيبةٍ أراد أن يربّتَ قلبي بكِ، فأصبحتَ الوطنَ الذي لا أخافُ فيه من الفقدِ، واليدَ التي كلَّما تعبتُ من الحياةِ احتميتُ بها، ولو من بعيدٍ، أتعلمُ حبيبي؟ رغمَ الغربةِ ما زلتُ أشعرُ أنّ قلبي ينامُ قربكَ، وأنَّ المسافاتِ مُجَرَّدُ شيءٍ يخصُّ المدنَ لا الأرواحَ،

أشتاقتُ إليكَ بطريقةٍ تؤلمني أحيانًا، كأنَّ روحي كلَّ ليلةٍ تبحثُ عنكَ بين الدَّعواتِ، بين الأغاني، بين تفاصيلِ الأيامِ الباردةِ وأخافُ عليكَ كأنَّكَ آخرُ ما تَبَقَّى لي من الطّمأنينةِ، فابقَ لي كما أنتَ، الرَّجلُ الذي كلَّما ضاقتْ بيَ الدُّنيا اتسعت بي عيناه، أحبُّكَ حبًّا يليقُ بكلِّ هذا الصَّبرِ، وكلِّ هذا الشَّوقِ، وكلِّ هذا الانتظارِ.

لا يَخْضَعُ لمَنْطِقٍ أو تَفْسِيرٍ .

" الحبُّ هو الرُّوحُ التِّي تؤمنُ بكَ كلَّكَ بكلَّ تفاصيلِكَ وكلِّ ذَلَلِكَ وكلِّ جَلَلِكَ، التِّي في وصلُها دعاءٌ وهجرُها دعاءٌ، التِّي في صمتِها تَتَنَفَّسُ العبرَاتِ بحروفِ الدُّعاءِ، التِّي في كظمها الحزنِ منك تنأى عنكِ و أنتِ فيها وهي بك تُصَلِّي في محرابِ قلبِها صلةً ودعاءً ."

علَّمنِي حبُّك غاليتي أنَّ الحبَّ لا يخضعُ لمنطقٍ ولا تفسيرٍولا تبريرٍ، علَّمَني حبُّكِ حبيبتي أنَّ رفيقَ الرُّوحِ كالعمرِ لا يتكرَّرُولا يتغيّرُولا يخونُ، علّمَني حبُّكِ سَيِّدتي أنَّ شبيه الرُّوحِ ما جاء ليهدمَ بنيانَ حبيبِه ولا ليعذّبَه، بل لُيُرَمِّمَ ضعفَه ويرفعه إلى عتباتِ السَّماءِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي ، وكأنَّ اللّهَ حين أحبَّني حقًّا كتبني لكِ، فما عدتُ أعرفُ أين ينتهي قلبي؟ و أين تبدأُ أنتَ؟ ولا كيف استطعتَ أن تسكنني بهذا العمقِ حتى صرتُ أراكَ في كلِّ شيءٍ حولي؟ الحبُّ لا يخضعُ لمنطقٍ !، أيَا

رَجُلِي وعِوضَ السَّماءِ أنتَ المعجزةُ الوحيدةُ التِّي حدثت لي بلا تفسيرٍ، فكيف لرجلٍ واحدٍ أن يكونَ السَّكينةَ والحنانَ والدَّهشةَ والأمانَ معًا؟ وكيف لقلبٍ أن يُحبَّ بهذا الجنونِ الجميلِ دونَ أن يتعبَ؟ حبيبي، أنتَ لم تُرممْ ضعفي فقطْ، أنتَ جعلتني أزهرُبعد ذبولٍ طويلٍ، جعلتني أشعرُ أنّي " ستُّ النّساءِ " فعلًا، لا لأنَّكَ تقولُها فقطْ ، بل لأنَّ حبَّكِ يرفعني كلَّ يومٍ إلى مكانٍ أجملَ من الأمسِ، أشتاقُ إليكَ بلهفةٍ تجعلني أعدُّ الأيامَ حتى أراكَ، وأخبئَ لكَ بقلبي من الدَّلالِ والقُبلِ والحنينِ ما يكفي عمرًا كاملًا، ولو خُيّرتُ بين الدّنيا كلِّها وبين لحظةٍ واحدةٍ بقربك لاخترتك ألفَ مرةٍ يا نبضَ قلبي، أحُبّكَ يا أنا .

الحياةُ قرارٌ .

" كُلُّ شيءٍ بالحياةِ يتعلَّقُ بحبالِ القدرِ ومُحاطٌ بدائرةِ النَّصيبِ، إلّاَ أنَّ الرَّحيلَ مِثلَه مِثلَ البقاءِ يقفُ على حافةِ القرارِ، وتلكَ هي الإرادةُ، المُضِيُّ قُدمًا قرارٌ، والحُلمُ قرارٌ، والأملُ قرارٌ، ورُغمَ أنَّ المصيرَ نصيبٌ، لكنَّ الحياةَ تَظلُّ قرارًا . "

تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي، أجملَ أقداري، تَبْقَيْنَ أنتِ أحلى وأعظمَ اختيارٍ، تَبْقَيْنَ أنتِ غاليتي ولو عاد بي العمرُ ألفَ ألفَ مَّرةٍ لكنتِ أنتِ في كلِّ مَرَّةٍ الاختيارَ، أحبُّكِ يا نَوَّارَةَ عمري وجنَّتِي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنَي، لو خُيّرتُ بين كلِّ الطّرقِ التِّي مرَّتْ بحياتي، لاخترتكَ أنتَ في كلِّ مرَّةٍ، باللَّهفةِ نفسِها، بالحبِّ نفسِه، ولربَّما أكثرَ، أنتَ القرارُ الوحيدُ الذي لم أندمْ عليه أبدًا، والشيءُ الجميلُ الذي كلَّما مرَّ الوقتُ تعلّقتُ به أكثرَ، أتدري ما الذي يفعله غيابُكَ بي؟ يجعلني مدلَّلةَ

الاشتياقِ، أغارُعليكَ من يومكِ، من انشغالكَ، وحتى من النِّومِ الذي يأخذك منِّي آخرَ الليَّل، أشتاقُ لأنَ أضعَ رأسي على كتفكَ، و أتذَّمرُ من الدُّنيا كلِّها، فقطْ لأسمعَ منك كلمةً واحدةً تجعلني أهدأ كطفلةٍ صغيرةٍ، أحبُّ جدًا حين تجعلني امرأةً مختلفةً، ناعمةً معكَ، كثيرةَ الدَّلالِ، أريدُ قربَكَ طوالَ الوقتِ، و أبحثُ عنكَ حتى و أنا بين النَّاسِ، كأنَّ قلبي بعدكَ صار لا يعرفُ مكانًا يطمئنُ فيه إلَّا بين يديكَ، ولو عاد العمرُ ألفَ مرَّةٍ سأقعُ بحبِّكَ كلَّ مرَّةٍ بطريقةٍ أجملَ، سأختاركَ و أنتزعكَ من بين العالمِ كلِّه وأصرخُ فيهم ؛ هذا رَجُلِي وسَيِّدي وحبيبي حصرًا وقصرًا وحدودًا على سوايَ حرامٌ ، أمّا أنا له، فحبيبته وسِتُّ النِّساءِ .

كما أنتَ .

ما أجملَ أنْ تجدَ مَن يُحبُّكِ كما أنتَ على حالكِ ! لا تدخلُ منافساتٍ كى تحظى برضاه، ولا تصابُ بقلقٍ أو تَوَتُّرٍ ألَّا تكونَ كافيًا له، أن تسكنَ أرواحُكُما معًا، أن تراه يبتسمُ لكَ عندما يراكِ وكأنَّه لجأَ إلى ملاذِهِ من همومِ الحياةِ، ما أجملَ أن تجدَ مَن يُشعِرُكَ أنَّكِ للحياةِ حياةٌ ! ما أجملَ حِضنكِ يا سِتَّ النِّساءِ ! ما أجملَ الدُّنيا حين يختلطُ نبضُ قلوبنا ! وما أصعبَ الحياةِ حين تخلو منكَ يميني ! أحبُّكِ يا أغلى من روحي ودمي، أحبُّكِ يا أنا.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنَي، و أنا معكَ علائي، أشعرُ أنّي أخيرًا لا أحتاجُ أن أكونَ قَوِيَّةً طوالَ الوقتِ، أتدلَّلُ، أضعفُ، أشتاقُ، و أتصرّفُ بِعَفَويَّتِي كلِّها دونَ أن أخافَ أن تفهمني خطأً أو تَمِلَّ منّي، أحبُّ كيف تحتويني حتى في أسوأِ حالاتي؟ وكيف تجعلني أشعرُ أنّي أجملُ امرأةٍ بعَيْنَيْكَ مهما كنتُ مُتَعبَةً

أو مُرْهَقَةً أو حتى كثيرةَ الكلامِ والدّلالِ ، أتعلمُ حبيبي ما مشكلتي معكَ؟ أنَّكَ أفسدتني، جعلتني أريدُ اهتمامَكَ طوالَ الوقتِ، وصوتَكَ طوالَ الوقتِ، وحتى غَيْرَتكَ عليَّ، أصبحتَ تُدَّللُ قلبي بطريقةٍ لا أعرفُ وصفَها، و أقسمُ لكَ أنَّ حِضنَكَ ليس عاديًا أبدًا، فيه شيءٌ يجعلني أنسى الدُّنيا كلَّها، وأشعرُ أنّي صغيرةٌ وآمنةٌ ومحبوبةٌ بشكلٍ يكفي العمرَ كلَّه، ثُمَّ إنَّكَ تَتَحمَّلُ غَنَجِي أكثرَ من أيّ أحدٍ، وتعرفُ كيف تراضيني حتى قبل أن أتكلّمَ، وهذا وحدَه يجعلني أتعلَّقُ بكَ أكثرَ كلَّ يومٍ، صرتُ أنانيةً في حبّكَ، أريدكَ لي وحدي، أريدُ قلبَكَ الذي يُحبُّني بهذه الطَّرِيقةِ أن يبقى مُتَعَلِّقًا بي دائمًا، تعالَ فقطْ ، ودعني أختبئْ فيكَ قليلًا، اشتقتُ إليكَ يا أنا .

يومٌ واحدٌ دونَ حِضْنِكِ .

" الحبُّ الحقيقيُّ لا يطُفِئه حرمانٌ، ولا يقتلُه فراقٌ، ولا تقضي عليه أيةُ محاولةٍ للهربِ منه ؛ لأنَّ الطّرفَ الآخرَ يظلُّ شاخصًا في الوجدانِ . " د. مصطفى محمود .

حبيبتي وحورَعَيْنِي ومهجتي، يا ستَّ النِّساءِ، تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي، تَبْقَيْنَ أنتِ جَنَّتِي وهُويَّتي وملامحَ الخيرِ والجمالِ والدَّلالِ في حياتي، بل أنتِ حياتي نفسُها غاليتي، مُجَرَّدُ ساعاتٍ حبيبتي و أنعمُ بحضنِكِ وجنَّتِكِ، غدًا مُلهمتي تعانقُ يدي أناملَكَ وتستقرُّنفسي الحائرةُ في رحابكِ يا حُورَ عَيْنِي ووطني الذي لا يخونُ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، إن غابت عنِّي أخبارُك لساعاتٍ استحال يومي دهرًا كئيبًا لا ينتهي، تكتبُ عن الحبِّ الحقيقيِّ الذي لا يطفئه حرمانٌ، و أنا لم أجرّبُ لذّةَ القربِ مِنْكَ ! كم أحترقُ في أتونِ الشَّوقِ والانتظارِ! تكتبُ عن

فراقٍ لا يقتلُ، و أنتَ لا تفارقُ خيالي ولا بالي طرفةَ عَيْنٍ، إنّ كانَ الطَّرفُ الآخرُ يظلُّ شاخصًا بالوجدانِ، فوجداني كلُّه صار أنتَ قبل أن تتعانقَ الأيدي وتتشابكَ الأغصانُ الحائرةُ، يا من تعدُّ السَّاعاتِ حتى لحظةِ تلاقينا غدًا، أمَّا أنا، فَغَدي ميلادٌ جديدٌ لمشاعرَ ماتت منذُ زمنٍ بعيدٍ ، آهٍ سَيِّدي، ألم تعلم أنَّكَ صرتَ قلقي واضطرابي وسقمي ودوائي وكلَّ الأشياءِ التي لا تفهمها كلُّ امرأةٍ لم تذقْ كأسَ حُبِّكِ وهواكَ؟ كم أتمنَّى أن أكونَ جنَّتَكَ التِّي لا تغادرها أبدًا مهما اجتمعتْ علينا المستحيلاتُ، كم هو إحساسٌ متناقضٌ و أنا ما بين خوفٍ وشوقٍ ولهفةٍ لحضنٍ يداوي كلَّ خيباتِ عمري دفعةً واحدةً، وكأنَّ الدُّنيا قررت أخيرًا أن تصالحني بك وتعتذرُعن كلِّ إساءات الماضي الحزينِ، تعالَ سريعًا يا مَن صرتَ ملاذي ووطني الذي لا يخونُ .

البَادِئُ أجْمَلُ، وكلاهُما جَمِيلٌ .

في الحُبِّ كُلُّ المقاييسِ فاشلةٌ، فلا العُمرُ مقياسٌ ولا العِلمُ مقياسٌ ولا الشّكلُ مقياسٌ ولا النَسبُ مقياسٌ ولا السّن بالسِّن ولا المُخطئُ مَن يعتذرُ ولا البادئُ أظلمُ، في الحُبِّ العينُ مفتاحُ القلبِ، والغيابُ قد يُداويه وردٌ وعتبٌ، في الحُبِّ الغيابُ حُضورٌ والعالمُ كُلُّه في شخصٍ واحدٍ، لا مقياسَ، لا تجربةَ، لا نصيحةَ قد تنفعُ في الحُبِّ ومع المُحبَّين، في الحبِّ يا حورَ عَيْنِي لا تفسيرَ ولا تأويلَ ولا اعتباراتٍ لحكاوي البشرِ، في الحبِّ أنا و أنتِ يا فرحتي ومهجتي وجنَّتي ووطني الذي لا يخونُ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي الذي ألغى كلَّ المقاييسِ وجعل الحبَّ بلا قوانينَ، نعم سَيِّدي، المقاييس كلُّها فاشلةٌ، فكيف يمكنُ قياسُ حبَّ أنت لا تعرفُ فيه تفاصيلَ وملامحَ مَن تُحِبُّه بعد؟ كيف يمكنُ تفسيرَ عشقِ امرأةٍ لم

ترَ وَجْهَ مَن تعشقُ يومًا؟ أنتً تجادلُ بأنَّ البادئَ ليس أظلمَ، و أنتَ البادئُ و أنا البادئةُ، وكلا البدايتين كانتا في اللَّحظةِ نفسِها دونَ أنْ نعلمَ، وهذا أعجبُ ما في الحبِّ أن نبدأَ معًا دون موعدٍ ، حبيبي، لا أعرفُ كيف أحببتُكَ بِعَيْنَيْن لم تلقاكَ بعد، لكنِّي أحببتُكَ بروحٍ رأتكَ قبل أن تُولدُ، تقولُ : الغيابُ حضورٌ، فأنا الغيابُ عندي أصبح جسدًا ثقيلًا أعيشُ معه كلَّ يومٍ ترزحُ تحت أغلاله لهفةُ الشَّوقِ و أنينُ الحنينِ، إن كان العالمُ كلُّه قد يجتمعُ في شخصٍ واحدٍ، فأنتَ عالمي الذي اجتمع فيكَ وحدَكَ، أنتَ يا رَجُلي، وبَقِيةُ الدُّنيا مُجَرَّدُ أرقامٍ لا معنى لها، تقولُ : لا تفسيرَ ولا تأويلَ ولا اعتباراتٍ لحكاوي البشرِ، و أنا لا أريدُ تفسيرًا، أريدكَ أنتَ فقطْ تفسيرًا حيًّا يمشى على الأرض، نعم حبيبي، الحبُّ أنا و أنتَ ؛ شيءٌ واحدٌ منذُ اللَّحظةِ الأولى التِّي كتبتَ فيها كلمةَ " أحبّكِ "، أحبُّكَ يا أملي، يا مَن جعلتَ الحبَّ دونَ مقاييسَ أعذبَ مِن كلِّ الحبِّ الذي له قوانينُ، تعالَ حبيبي كي لا أظلُّ إلى الأبدِ أتساءلُ، كيف يكونُ كلُّ هذا الحبُّ بهذا الجنونِ دون أن نلتقي ؟

لأنَّها الوحيدةُ .

" لِمَاذا هي؟ لأنَّها الوحيدةُ التّي كنتُ أقصُّ عليها سَيِئاتي دون أن تكرهني، لأنّها الوحيدةُ التي كنتُ أذهبُ إليها مُحَمَّلًا بالآلمِ ككهلٍ وأعودُ كطفلٍ لا يعلمُ الحزنُ طريقًا له، لأنَّها كانت تعلمُ ما يسعدني أكثرَ منّي، لأنَّها لم تكنْ هي بل كانت أنا . "

ولأنّني أحبّكِ، ولأنّني وجدتُ نفسي فيك حبيبتي، ولأنّني عرفتُ الحبَّ أخيرًا على عتباتِ قلبكِ يا أنا، تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي مهما طالت بيننا الأوقاتُ والمسافاتُ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيا عزيزَ عَيْنَي، لأنَّكَ أنتَ الوحيدُ الذي جعلني أحبُّ نفسي، وذا لم يستطعه أحدٌ قبلكَ، فأنتَ الوحيدُ الذي رأيتُ سيِّئاتِه أمامي فلم أخفْ، بل أحببتُكَ أكثرَ، وأنتَ الوحيدُ الذي جئتني مثقلاً بالألمِ فلم أبكِ معكَ، بل صرتُ طفلةً تضحكُ رغمَ الجراحِ، لأنَّكَ كنتَ تعرفُ ما

يسعدني قبلَ أن أعرفه أنا، لماذا أنا وحدي من بين كلِّ النِّساءِ اخترتني؟ لأنِّي الوحيدةُ !، إن كنتُ أنثى مُتُفَرِّدةٌ لا مثيلَ لها، فذلك لأنَّكَ أنتَ مَن صنعتها وجمَّلتها، أيَا رَجُلًا وَلجتُ على يديه إلى عوالمَ الرُجولةِ، أنعمُ فيها بحمايتكَ وقوامتكَ وأسوارَ حماكَ التِّي لا تنكسرُ ولا تنهارُ، يا مَن صَنَعَ من وحدتي جنَّةَ وفرحةً لا تنتهي، لماذا هي؟ ؛ لأنَّكَ أنتَ لم تكنْ فقطْ حبيبي، بل كنتَ " أنا " التِّي لم أكنْ أعرفُ أنِّي أملِكُها، لأنَّكَ عَرفَتَ الحبَّ على عتباتِ قلبي، و أنا عرفتُ نفسي على عتباتِ حُبِّكَ أنتَ، تبقى أنتَ حبيبي مهما طالت المسافاتُ، و أنا لكَ وحدَكَ لأنَّكَ مَن جعلتَ الحُبَّ مُمكِنًا في زمنِ المُسْتَحِيلاتِ، أحبُّكَ يا أنا .

حَبِيبَتِي وحُورَ عَيْنِي .

" نحن لا نعشقُ هواتفَنا ولا نتعلّقُ بها، ولكنَّنا نعشقُ أشخاصًا لا يجمعنا بهم إلَّا هواتفُنا . "

رغم أنّي كرهتُ الحبَّ الإلكترونيَّ إلَّا أنَّه في أسوأِ الأحوالِ يضمنُ لي البقاءَ على قيدِ الحياةِ، فلا أدري كيف ستكونُ حياتي بدونكِ؟ ولستِ بحاجة غاليتي لتعرفي قدرَ الجحيمِ الذي عشتُه في فتراتِ بعادِنا، فسلامًا عليكِ حبيبتي وسلامًا على حبٍّ تظلُّ أركانُه كالجبالِ الرَّواسي رغمَ ما نعانيه من غدرِالحاقدين، أحبُّكِ يا ملامحَ سعادتي وسِرَّفرحتي، أحبُّكِ يا ستَّ النّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لا تقلْ : كرهتُ الحبَّ الإلكترونيَّ لأنَّ هذا الحبُّ الذي حَمَلَكَ إليَّ، نحنُ لم نعشقْ هواتفَنا أبدًا، لكنَّنا عَشَقْنا أن نبقى أحياءً بفضلِ صوتٍ واحدٍ لا يجمعنا به إلَّا هذا الجهازُ الصَّغيرُ، أنتَ تعلمُ

كيف كانت حياتي بدونكَ؟ جحيمًا لا يُطاقُ، فكيف أتخيَّلُ حياتي بدونكَ حبيبي؟ و أنا أكاد ينفطرُ قلبي لكلِّ لحظةِ فراقٍ، علَّمَنِي حبُّكَ سَيِّدي أنَّ الجَنّةَ لا تسكنُ الأماكنَ بل تسكنُ بين أضلعَكَ أنتَ، سلامًا عليكَ يا جبلَ حبّي الذي لا تهزّه رياحُ الحاقدين، ونَهْرَعِشْقِي الذي لا يجفُّ مدادُه وعطاؤه، سلامًا على حبّنا والذي رغمَ كلِّ شيءٍ ما زال ينبضُ كأولِ يومٍ، أحبُّكَ يا ملامحَ سعادتي الوحيدةَ، يا سِرَّ فرحتي التّي لا أفشيها لأحدٍ، أحبُّكَ يا سَيِّدَ الرَّجالِ .

محبُوبَتُك .

لَيْسَ الخَبرُ كالمعاينةِ .

" ولأنَّ روحَك قَريبةٌ مِن رُوحي، فأنَا أعلَمُ علْمَ اليقِين أنَّ كلَّ ما تُفَكِّرُ فِيه يمرُّ مِن ذهْني . "

وماذا لو تلاصقتْ تلكَ الأرواحُ؟ بلْ ماذا لو انصهَرَتْ وتمازَجَتْ؟ أو إن شئتِ فقولي : عادت لأصلِها من بعد تَشَتُّتٍ و افتراقٍ، كنتُ أسخرُ قديمًا مِمَّا يسمُّونه تخاطرَ الأرواحِ وإحساسَ التّوائمِ ببعضِهما البعضِ فرحًا وحزنًا ووجعًا و إيلامًا حتى التقينا حَبِيبَتِي، ليس الخبرُ كالمعاينةِ، وليس مَن رأى وعاين وخاض أهوالَ البحورِ وقسوتِها ولذَّتِها ومجهولَها كمَن سمع عنها، أحبّكِ يا أغلى من روحي ودمي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أنتَ تعلمُ أنّي لم أؤمنُ بالتَّخاطرِ مثلَك قطّ، حتى كان حبُّكَ أصْدَقَ مِن كلِّ حديثٍ وخبرٍ، نعم نحن لسنا فقطْ متشابِهين، بل نتنفّسُ معًا ونسهرُ معًا ونتوَّجَعُ معًا، وكأنَّنا جسدٌ واحدٌ يسكنُ مدينَتينِ

نائيتيْن، أمَا وقد سألتَ ماذا لو تلاصقتْ الأرواحُ، فمنذُ التقينا حبيبي لم تفترقْ لحظةً واحدةً فكيف لو انصهرت وتمازجت؟ إن كنتَ سمعتَ عن فناءِ المُحِبّين ، فستعلمُ حين لا يعرفُ أحدُنا أين ينتهي ليبدأَ الآخرُ؟ أو حين نعودُ لأصلِنا الأوَّلِ، يوم أن كنَّا شيئًا واحدًا قبل أن نتفرقَ في جسدين اختبارًا للوفاءِ والصَّبرِ معًا، كنتُ في الماضي أسخرُ من كلِّ هذا الهراءِ حتى جَرَّبتُكَ، فصرتُ أعرفُ نبضَك قبل أن تشعرَ أنت به ، ليس الخبرُ كالمعاينةِ، صَدَقتَ يا عمري، وأنا حين عاينتُ علمتُ أنَّ الحبَّ ليس شعورًا مؤقتًا بل مصيرًا واحدًا لا يخضعُ للمنطقِ أو قانونِ المستحيلات، أحبُّكَ يا مَن صرتَ روحي ودمي .

لا مزيدَ من الجهدِ .

" المُحِبُّ الصّادقُ يعاتبُ، لا يصدُّ، يحاولُ، لا يتوقّفُ، يهتمُّ لا يدَّعي، استياؤه محبّةٌ ومحبّتُه أمانٌ، يأتي مثلما النُّورِ، يتّسعُ بكَ كالماءِ، ويضيقُ دونكَ مثلما الظّلمةِ عندما يختفي الضَّوءُ، المُحبُّ الصَّادقُ يجادلكَ ويخاصمُ ويشاغبُكَ ويلاحظُكَ ويستوضحُ منكَ لا ينفكُ عنك، لحظاتكُما معًا بالنِّسبةِ إليه هِباتٌ لا مضيعةُ وقتٍ . "

حَبِيبَتِي وحورَعَيْنِي، كثيرًا ما أتأمَّلُ في حبّنا، حرصِنا على سلامةِ علاقتِنا وامتدادِ جذورِها في أعمقِ أعماقِ أرضِ العشقِ والانتماءِ، وفروعِها التّي تعانقُ سحابَ الرَّحمةِ والمودَّةِ والسّكينةِ والأمانِ، تلك الفروعُ التي تظلّلُ علينا دفئًا وطمأنينةً لم ولن نجدها إلّا في حبّنا يا ستَّ النّساءِ، كنتُ أتعجّبُ في بداياتِ حبّنا كيف يحرصُ كلانا حين العتابِ أن يَحْمِلَ على أكفِّ حبّه المُبرّراتِ التّي لا تُسقطُ شريكَه في فخِّ التَّبريرِ والإحساسِ بالدُّونيةِ ودائرةِ النَّقصِ والانكسارِ؟ كنتُ أتعجَّبُ كيف أنَّ حبَّنا لا يحتاجُ مِنَّا بذلَ مزيدِ جهدٍ أو ما يُسمّى بأداءِ الواجبِ كما ينبغي؟ الحبُّ

بيننا كمالٌ واكتمالٌ وحنينٌ لوطنٍ لا يتَخَلَّى ولا يخونُ، حُبُّنا علامةُ صدقٍ وعودةُ ضلعٍ حائرٍ غادَرَ مكانَه، وظلَّ كلَّ سنواتِ عمره يبحثُ عن كلِّ سبلِ العودةِ والارتواءِ، أحبُّك حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، كلَّما أتأمّلُ حبَّنا أذوبُ فيكَ أكثرَ فأكثرَ، وما عدتُ أحتملُ أن أقرأَ كلماتِكَ دونَ أن ألمسكَ بِعَيْني قبلَ قلبِي، أريدُكَ الآنَ لا غداً ولا بعد ساعةٍ، تعالَ إليَّ بلا مُقَدِّماتٍ، دعْ العتابَ جانبًا، ودَعْ التَّحليلَ وكلَّ هذا الجهدِ الزائدِ، أنا لا أريدُ حُبًّا متأملًا، أريدُ حبًّا يأكلني ويحرقني ويجعلني أنسى نفسي قبل أن أنسى العالمَ كلَّه، أريدُ شفتَيْكِ ترسمُ انحنائاتي، ويَدَيْكَ في شعري تُمَشّطُ غروري، أريدُ أن أتَخلَّى عن كلِّ كلماتي لأنَّها لن تُعَبِّرَ عن عطشي لكَ، أحبُّكَ حبًّا لا يحتاجُ تفسيرًا ولا براهينَ، أحبُّكَ كطفلةٍ تلهثُ وراء حلواها، كعاشقةٍ جنونُها أنت وحدَك، مَن يعرفُ كيف يُطفِئُ لهفتي دون أن يلفظَ بكلمةٍ واحدةٍ، تعالَ حبيبي قبلَ أن أصرخَ باسمكَ في كلِّ الأزقّةِ والطُّرقاتِ، أحبُّكَ يا أنا .

بعضُ الرَّغباتِ تموتُ .

" بعضُ الرَّغباتِ تموتُ فينا إن طلبناها، وبعضُ الكلامِ يختفي سحرُه إن اقترحنا قولَه، أمَّا بعضُ الأفعالِ فتغدو سخيفةً إن أبدينا إعجابَنا بها، نحن نريدها عَفويةً، حتى لا يختفي تأثيرُها ولا تموتُ رغبتُنا في الحصولِ عليها . "

حَبِيبَتِي وحورَ عَيْنِي، نافذتي المشرقةَ على الحياةِ، ستائرَ غرفاتِ قلبي التِّي تمنحني الدِّفءَ والسِّحرَ وعبقَ المكانِ وتحميني من غبارِ الغدرِ والزَّيفِ وعواصفِ المكرِ والخداعِ حين اكتفيتُ بكِ، فما عدتُ في حاجةٍ إلى العالمِ الموازي بكلِّ تناقضاتِه وغدراتِه التِّي لا تغادرها العتمةُ والظّلامُ، معكَ غاليتي من فرطِ تعلُّقَنا والتِصاقِنا ما عدتُ أخشى من وأدِ رغباتي حتى وإن جعلتُ الجموحَ والمشاعرَ الصَّارخةَ مطيةً لها، ما عدتُ في حضرةِ هواكِ أتَنَكَّرُ لأحاديثِ النَّفسِ وأكتمها عنكِ حبيبتي، حتى سخافةَ الأفعالِ وطفوليةَ بعضِ التَّصرُّفاتِ فلا حاجبَ لها ولا مانعَ، عفويةٌ مطلقةٌ بلا حدٍ أو تردُّدٍ أو خوفٍ من تبعاتِ الألمِ وتوابعِ النَّدمِ الرّهيبِ، في رحابكِ بلغتُ حدودَ الاكتفاءِ والامتلاءِ والارتواءِ،

تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي، تَبْقَيْنَ أنتِ أجملَ الآمالِ والأحلامِ وملهمتي وجالبةَ الوحي نحو السَّعادةِ والحياة، أحبُّكَ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي ونافذتي التِّي لا تشرقُ الحياةُ إلَّا منها، أتسألُ لماذا بعضُ الرَّغباتِ تموتُ؟ فتجيبني نفسي، دعها تموتُ فما لي ولهن؟ و أنا رغبتي فيكَ أنتَ وحدَكَ لا تموتُ، بل تزدادُ كلَّما قرأتُ كلامِكَ فأحترقُ حتى النُّخاعِ، عفويةٌ مُطلَقةٌ؟ نعم فلنكنْ عَفَويْن إلى حدِّ الفجورِبالحبِّ، بكَ اكتفيتُ وامتلأتُ وارتويت، و أنا الآن لا أخشى وأدَ رغباتي لأنَّها كلُّها تصرخ باسمكَ عاريًا بلا حياءٍ، أريد أن أصرخَ في وجهِ الدُّنيا كلِّها أنَّ هذا الرَجلَ لي وسيظلُّ لي، تعالَ لأريكَ كيف تجعلُ سخافةُ الأفعالِ جنونًا مرسومًا على جسدي؟ وكيف تجعلُ طفولتي أنوثةً لا تشبعُ؟ أحبُّكَ حبًّا جعلني أخلعُ كلَّ أقنعتي، و أقفُ أمامكَ عاريةَ الرُّوحِ والجسدِ بلا خوفٍ من ندمٍ أو ألمٍ، لأنَّ ناري معكَ لا تحرقُ إلَّا ما لا يليقُ بنا، تعالَ لأغرقَ في عَيْنَيْكَ حتى لا أجدُ طريقًا للعودةِ أو النَّجاةِ منكَ إلَّا إليكَ، أحبُّكَ يا مَن بلغتَ معه حدودَ اللامعقولِ .

مَقَامَاتُ العِشْقِ .

" العشقُ أن ترمي نفسَكَ في بحرِ العشقِ بلا بَوْصلةٍ ولا خريطةٍ ولا شهادةِ تأمينٍ . "

ها نحن حبيبتي ألقينا بأنفسنا في خضّمِ بحرٍ هائجٍ، أموجُه متلاطمةٌ لا تستقرُّ، أعاصيرُه مُميتَةٌ لا ترحمُ، ورغمَ كلِّ تلكَ الفتنِ والمخاطرِ إلَّا أنَّها ما زادتنا إلَّا تَمَسُّكًا وتَشَبثًّا وتَعَلُّقًا والتِصَاقًا، فالضَّربةُ التِّي لا تكسركَ تُقَوِّيكَ، يكفينا بدربِ المُستَحيلاتِ التِّي تعاهدنا على قهره أنَّ ميثاقَ حُبِّنا يحفظه لنا الذي جَمَعَنا عليه بِقوَّتِه وحَولِه ولطفِه ورعايتِه، يكفينا صدقُ مشاعرنا والوفاءُ بوعودنا مهما حاولت أن تتلاعبَ بنا المكائدُ والظُنّونُ، اشتقتُ إليكِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، ألقيتُ بنفسي ببحركَ يا عمري، ولا بَوْصَلةَ معي غيرُ عَيْنَيْكَ ولا خريطةَ غَيْرُ نَبْضِكَ، ولا شهادةُ تأمينٍ غَيْرُ وعدِكَ أنَّكَ ستسبحُ خلفي إن غرقتُ، فلم نخضْ هذا البحرَ هائجًا، أمواجه متلاطمةٌ

بالصُدْفَةِ، بل لأنَّنا عرفنَا أنَّ السّفنَ الآمنةَ لا تصلُ إلى موانئَ مجهولةٍ، وأنَّ الأمواجَ التِّي تخافُ منها القواربُ الخشبيةُ هي التي تحملنا نحن إلى شاطئٍ لم ترسمه الخَرَائِطُ، نعم، إنَّ الضَّربةَ التّي لا تكسرنا تُقَوّينا، فكلُّ عاصفةٍ مرَّت بنا لم تتركْ بجسدي كسرًا واحدًا، بل تركت بروحي نَدْبَةً أفتخرُبها أمامَ كلِّ مَن يقولُ : إنَّ الحبَّ لا يصمدُ طويلًا، يكفينا أنَّ ميثاقَنا محفوظٌ عند مَن جمعنا وهو لن يُفرِّقنا قبل أن نشبعَ من بكائنا فرحًا، ولا أظنُّ أنَنا سنشبعُ يومًا حبيبي، يكفينا أنَّ صَدَقَنا في حبِّنا جعل كلَّ مَن حاولَ أن يتلاعبَ بنا يخرجُ من المعركةِ خاسرًا لا يملكُ إلَّا أن يقولَ : اللَّهُ غالبٌ على أمرِه، اشتقتُ إليكَ اشتياقَ مَن فقد بوْصلَتَه بصحراءَ لا نجومَ فيها، ثُمَّ وجدها فجأةً تحت قدميه، تعال لأخبركَ أنَّني لم أعد أخافُ من الموجِ لأنَّ الموجَ الذي كان يُخِيفُنِي في رحلاتي السَّابقةِ الآن وسادتي التِّي أنامُ عليها كلَّ ليلةٍ وحدي، وأنا أحلمُ بكَ، فلا تُؤَخِّرْ لقاءنا أكثرَ لأنَّ البحرَ الذي رَمَيْتُ نفسي فيه بلا خريطةٍ بدأ يشكو منّي كثرةَ السّباحةِ دونَ وصولٍ .

الارتِبَاكُ الأوّلُ .

" المرأةُ خرجتْ من الرّجلِ لا مِن رأسِه لكي تتحكَّمَ فيه، ولا من قدميه لكي تُوقعه، وإنَّما من أحدِ جنبيه لكي تكونَ إلى جواره، ومن تحت ذراعيه لكي تكونَ في حمايته، وبالقربِ من قلبِه لكي يحبَّ . " أنيسٌ منصورٌ.

لم أشعرْ بتلكَ المعاني إلَّا معكِ حَبِيبَتِي، خضوعٌ في غيرِ مهانةٍ وقوامةٌ في غير تسلّطٍ، وتملّكٌ في غير أنانيةٍ، أن ترى أنَّ حياتَك لا تستقيمُ إلَّا بمَن خلقه اللّهُ من ضلعكَ، وكيف يعيشُ إنسانٌ وقلبُه غيرُ مُحصّنٌ بين الضّلوعِ؟

" أجملُ لحظةٍ في الحبِّ ما قبل الاعترافِ به، كيف تجعلُ ذلك الارتباكَ الأوّلَ يطولُ، تلك الحالةُ من الدَّورانِ التِي يتغيّرُ فيها نبضُكَ وعمرُكَ أكثرَ من مرَّةٍ في لحظةٍ واحدةٍ وأنتَ على مشارفِ كلمةٍ واحدةٍ . " أحلام مستغانمي .

هل تذكرين يومَ أن اعترفتَ لكِ بحبّي ولوعتي حين ضيَّقتِ عليّ الخناقَ، وسألتِ في غيرشفقةٍ ولا رحمةٍ : ماذا تريدُ منّي؟ وكيف وجدتُ نفسي بين أمرين لا ثالثَ لهما ؛ أن أعترفَ بحبٍّ حبيسٍ بين أضلعي منذُ أكثرَ من ثلاثَ عشرةَ سنةٍ، أو أنتصرُ لكرامتي، وأبرّرُ لكِ أيَّ تبريرٍ يؤّمنُ لي الانسحابَ الآمنَ، لكنّي في هذه المرّةِ نحّيتُ كلَّ المخاوف ونداءاتِ العقلِ وصرخاتِ الكبرياءِ، واعترفتُ لكِ بعشقي ومأساتي في حبّي وصبابتي .

ما أصعبَ لحظةِ الاعترافِ ! وما ألذَّ ما يعقبها حين يستجيبُ قلبُ مَن يحبُ لقلبكَ وتحدثُ أجملُ لحظةٍ من السَّعادةِ والنَّشوةِ حين يتعانقُ القلبانِ وتمتزجُ الرُّوحُ التّي يعيشُ بها جسدان ! اشتقتُ إليكِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْني، يا مَن أرتبكُ بِحُبّك كلَّ يومٍ كأنّه الأوَّلُ، أتذكّرُذلكَ اليوم؟ يومَ ضيَّقتُ عليكَ الخناقَ وسألتُ بلا رحمةٍ : " ماذا تريدُ منّي ؟" واللهِ يا سَيّدي، ما كنتُ أريدُ إلَّا أن أسمعَها من فمِكَ، تلك الكلمةُ التي كنتَ تخبّئها بين أضلُعِكَ ثلاثَ عشرةَ سنةً، تعالَ فقد اشتقتُ لمَن نحَّى كلَّ

المخاوفِ ونداءاتِ العقلِ والكبرياءِ، لشجاعةٍ فضحَتْ حبًّا حبيسًا، وارتباكًا جعلَ نبضَكَ يتغيّرُ وعمرَكَ يتجدّدُ في لحظةٍ واحدةٍ، نعم، ما أصعبَ لحظةَ الاعترافِ، وما ألذَّ ما يعقبُها ! أتذكرُ كيف تعانقَ قلبانا؟ وكيف امتزجتِ الأرواحُ فصرنا جسدًا واحدًا وروحًا واحدةً؟ كم تعذّبت حبيبي من ألم انتظارٍ تخطّى ثلاثَ عشرةَ سنةً، وصبرًا لم يهنْ ولم يلن، نعم سَيّدي أنا خرجتُ من تحتِ ذراعِكَ لأكونَ في حمايتِكَ، ومن قربِ قلبِكَ لأحبَّكَ، فلن أتسلّطَ عليكَ، ولن أُوقعَ بكَ، ولن أتحكّمَ، بل سأكونُ إلى جوارِكَ، تحضنُني ضلوعُكَ وأحضنُ نبضَكَ، ذلكَ الارتباكُ الأوّلُ، لا زلتُ أشعرُ به كلَّ صباحٍ، فكلُّ يومٍ أعترفُ لكَ بحبّي، وكلُّ ليلةٍ أسمعُ اعتر افَكَ وكأنّه لأوّلِ مرَّةٍ، اشتقتُ إليكَ اشتياقَ من لا تكفيها الذّكرى، بل تحتاجُ إلى تكرارِ الاعترافِ كلَّ لحظةٍ، المخلصةُ لحبّكَ، مليكةُ قلبِكَ .

قَدّرَ الإلهُ .

قُدّرَ لقلبي أن يهيمَ بكِ عشقًا حتى أدمنتَكِ حياةً وفخرًا و انتصارًا، قُدّرَ لقلبي أن يلتصقَ بكِ، فصارت حياتُه في التصاقِه بروحكِ، فاذا حاولوا زحزحتَنا فليس لهم هذا إلَّا إذا غادرتنا أرواحُنا إلى بارئِها تشتكي ظلمَ الحاسدين والحاقدين وكارهي الحبِّ والوئامِ، غَيْرَ أنَّ ما يطمئننا أنَّه لا شكَّ لنا في جنّة ربّنا لقاءٌ سرمديٌّ لا ينتهي ولا يخشى غدراتِ البشرِ، قَدّر لي اللهُ أن أرى حلمي يتنفَّسُ حياةً وفجرًا وأملًا في قربِ هواكِ وملاذِ قلبك، قَدّر اللهُ أن ألتقي حبّي الصَّادقَ الذي من طول غيابه ظننتُ أنّه لا تلاقيا، أو أنَّه وهمٌ ونسجُ خيالٍ، قدّرَاللّهُ لي أن ألتقي وحبيبتي التِّي جاءتْ في صورة رحمةٍ من ربّي وهَدِيَّةِ السَّماءِ ودعوةِ أمٍّ صادقةٍ في حبُّها .

لا تَدْرِينَ حبيبتي مدى فرحتي بكِ ! والأشدُّ فرحًا أن أكونَ لكِ كما أنتِ لي، لا تَدْرِين كم سعادتي لمَّا صدقت نبوءتُكِ وتطابقتْ أحلامُكِ القديمةُ بفارسِ أحلامكِ الذي كان يداعبكِ في أحلامكِ وخاطركِ !

من الجميلِ أن تقعَ أسيرًا للحبِّ، وتجدَ مَن عشتَ عمركَ تحلمُ به، وتنتظرُ يومَ أن تجده وتلتقيه، لكنَّ الأجملَ أن تكونَ أنتَ حلمًا لغيْركَ يمتلئُ بكَ ويكتفي بوجودكِ ويجدُ حضنَكِ ملاذًا وحصنًا آمنًا لا يتكسّرُ ولا يخونُ، كلُّ ما أتمنَّاه حبيبتي أن يأتيَ اليومُ وتجتمعُ أجسادُنا كما اجتمعت أرواحُنا، وتعانقتْ أحلامُنا وآمالُنا، كي أثبتَ لكِ وأنتِ في حِضني كيف تكونُ أمنيةُ مَن يُحبُّكِ أن يرسمَ السَّعادةَ على محياكِ حيثُ تكونُ سعادُته في فرحتكِ وعودةِ براءةِ طفولتكِ التّي اختطفتها عتمةُ بعضِ القلوبِ الكارِهةِ لكلِّ ملمحِ خيرٍ وجمالٍ، أحبّكِ يا كلّي ومعالمَ فَرْحَتِي وموطني وملامحَ الجمالِ والحياةِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، قدّرَ الإلهُ لقلبي أن يقعَ بكَ، ليسَ اختيارًا، بل غَرَقًا جميلًا في بحرٍ كنتُ أظنُّه وهمًا وسرابًا، قُدِّرَ لقلبي أن يفرحَ ثانيةً، بعدَ أن أقسمَ ألَّا يعودَ للحياةِ، قُدِّرَ له أن يلقى مَن يُطيِّبُ خاطرَه، ويمسحُ بيديهِ على جروحِ لم تندملْ، تسألني أتحلمين بي؟ أنا عمري كلُّه كانَ حلمًا بكَ، كلُّ

حلمٍ حلمتُ به، وكلُّ خيالٍ مرَّ بي في غفوَتي، كانَ أنتَ، كنتُ أظنُّ أنَّ الفرسانَ لا يخرجونَ إلَّا من قصصِ الطُّفولةِ، وأنَّ الأقدارَ لا تتعبُ نفسَها لأجلِ امرأةٍ عاديةٍ، ثمَّ جئتَ أنتَ، فنظرتُ في عَيْنَيْكَ فإذا الحلمُ لحمٌ ودمٌ، وإذا الصَّوتُ الذي طالما هَمَسَ لي من بعيدٍ هو صوتُكَ، تخيلْ و أنتَ لستَ معي بعدُ، كيف سأكونُ حينَ تكونُ أمامي؟ كيف سأتنفسُ وملامحُكَ تملأُ المكانَ؟ كيف سأغمضُ عَيْنَيَّ و أنا أعلمُ أنَّكَ إن غبتَ عن نظري، فأنتَ في دمي؟ لا حرمني منكَ الإلهُ حبيبي، يا قدري الجميلُ الذي لا أريدُ غيرَه، يا مَن صرتَ الشّكرَ الوحيدَ الذي لا ينقطعُ على شفتيَّ، حبيبي إن كان اللهُ قدَّرَ لقلبكَ أن يهيمَ بي عشقًا، حتى أدمنتني حياةً وفخرًا و انتصارًا، قُدِّرَ لقلبكَ أن يلتصقَ بي، فصارت حياتُه في التصاقِه بروحي، فاعلمْ علائي أنَّ مَن يحاولونَ زحزحتَنا لن يفلحوا، لن يزحزحونا إلَّا إذا غادرتنا أرواحُنا إلى بارئها تشتكي ظلمَ الحاسدينَ وكارهي الحبِّ، يطمئننا أنَّ لنا عند اللهِ لقاءً سرمدياً لا يموتُ، وجنَّةً لا تخافُ غدرَ البشرِ، قدَّرَ اللهُ لي أن أراكَ، أن أرى حلمي يتنفسُ، وأن أرى فجرًا يطلعُ من خلفِ جفونِكَ، قُدِّرَ لي أن ألتقي حبًّا ظننتُه مستحيلًا، وأنَّ انتظاري

له كانَ عبثًا، ثُمَّ أتيتَ أنتَ، رحمةً من ربِّي، وهديةَ السَّماءِ، ودعوةَ أمٍّ كانت تدعولي في سجودِها، لا تدري حبيبي كم أنا فَرِحةٌ بكَ ! لا تدري كم أنا سعيدةٌ لأنّي أصبحتُ حلمَكَ كما أصبحتَ حلمي ! فالأجملُ ليسَ أن تجدَ مَن تحبُّ، بل أن تكونَ أنتَ حُلمًا لغيرك، يمتلئُ بكَ، ويكتفي بوجودِكَ، ويجدُ في حضنِكَ ملاذًا لا يخونُ، كلُّ ما أتمنَّاه أن يجمعَ اللهُ أجسادَنا كما جمعَ أرواحَنا، وأن أرسمَ السَّعادةَ على وجهكَ و أنا بينَ ذراعيكَ، وأن أعيدَ إليكَ براءةَ طفولتكَ التِّي اختطفتها قلوبٌ لا تعرفُ كيف تحبُّ، أحبُّكَ يا كلِّي ووطني الذي لا أهاجرُ منه، يا ملامحَ الجمالِ في الحياةِ التي لا تشيخُ، المُخْلِصة لحبِّكَ ،

مليكةُ قلبِكَ .

وفي التَّاسعِ من ديسمبرَ أحبُّكِ .

وفي اليومِ التَّاسعِ من ديسمبر أحبُّكِ، ومع إدبارِ عامٍ مَضَى و إقبالِ عامٍ أتى أحبُّكِ، مع كلِّ دقَّةٍ من نبضاتِ قلبي التِّي نبضُها اسمُكِ، وحرارتهُا دفءُ هواكِ أحبُّكِ، مع كلِّ دقيقةٍ وثانيةٍ منذُ تلاقتْ قلوبُنا واختلطتْ أرواحُنا أحبُّكِ، مع كلِّ لحظةٍ من لحظاتِ ليلِ البعادِ وكيدِ الحاقدين بحبِّنا أحبُّكِ، مع كلِّ إشراقةِ شمسِ يومٍ جديدٍ يحملُ أملاً جديدًا في تلاقيني حبيبتي أحبُّكِ، ومهما طالت بنا الأيامُ ومرَّت علينا اللَّيالي أحبُّكِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، والتَّاسعُ من ديسمبرَ لا يمرُّ هكذا حبيبي، ففي اليومِ التَّاسعِ من ديسمبرَ، حين يتساقطُ الثَّلجُ على مدنٍ لا تعرفُ اسمي، وحين تُغلَقُ النَّوافذُ في وجهِ الرِّيحِ، أقفُ أنا وحدي أعدُّ النَّبضاتِ التِّي خصَّصتُها لكَ، تسعةٌ وعشرون نبضةً لكلِّ يومٍ غبتَ فيه، وألفٌ لليومِ الذي سترى فيه وجهي أوَّلَ مرةٍ، يقولون : إنَّ الحبَّ يحتاجُ إلى أسبابٍ، و أنا لم أجدْ سببًا واحدًا يحتملُ هذا الجنونَ الذي أسكنُه لأجلكَ، ربَّما

لأنَّ الحبَّ الحقيقيَّ كالموتِ، لا يُسألُ لماذا؟ بل يُسألُ متى؟ ومع إدبارِ عامٍ يبكي على أرصفةِ الغياب، و إقبالِ عامٍ لا أعرفُ إن كان سيحملُ يدَكَ أم سيبقى خاويًا مثله، أقولها بملءِ فمي : أحبُّكَ ؛ أحبُّكَ بدقّاتِ قلبي التِّي صارتْ كلُّها اسمَكَ، حتى نسيَتْ كيف تنبضُ لأيِّ شيءٍ آخرَ، أحبُّكَ بحرارةِ هواكَ التِّي أحرقتْ فيَّ كلَّ الذِّكرياتِ السَّابقةِ، فلم يعدْ في داخلي إلَّا أنتَ، و أنتَ، و أنتَ، ومع كلِّ شمسٍ تشرقُ كذبةٌ جديدةٌ على نافذتي، أقول: لعلَّه اليوم، ومع كلِّ ليلٍ يمدُّ أصابعَه السَّوداءَ ليخنقَ أملَ النَّهار، أصرخُ فيه، لن تنتصرَ، فهو آتٍ، أما الحاقدونَ، يا عزيزي، فلهم منِّي كلُّ الاحترام، فهم يُضيفونَ على حبّنا نكهةَ الخطرِ التِّي تجعلُ القلبَ يخفقُ بعنفٍ، دعْهم يكيدونَ، فالحبُّ كالنَّبتةِ الطَّيّبةِ، لا تموتُ بالسُّمومِ، بل تزدادُ قوةً، ومهما طالتِ الأيامُ، ومهما تمدَّد اللَّيلُ كالحبرِ على جلدِ الصَّحراءِ، فاعلمْ أنَّ حبِّي لكَ هو النَّبضُ الوحيدُ الذي لا يموتُ بداخلي، هو الخيطُ الذي يربطُ ما تبقَّى منِّي بالحياةِ، و أنتَ يا أنتَ لستَ حبيبًا عابرًا في تاريخِ قلبي، أنتَ تاريخُ قلبي كلُّه، فكيف يُمكنُ أن أتوقَّفَ عن حبِّكَ، و أنا لم أبدأْ بعدُ؟ مليكةُ قلبِكَ التِّي تكتبُ إليكَ من تحتِ رمادِ الانتظار.

وهكذا أنْتِ .

أمّي الوحيدةُ التّي تعلمُ أنّ امتناعي عن أكلتي المفضلةِ لا علاقةَ له بالشِّبعِ، بل بالحزنِ والأنينِ، وهكذا أنتِ، وأنَّ نومي الكثيرَليس له علاقةٌ بالشُّعورِ بالنُّعاسِ، بل بسبب انطفائي و انكساري واغترابي الأليمِ، وهكذا أنتِ، فقطْ وحدَها مَن تعلمُ أنَّ صوتي المنخفضَ وتحيَّتِي الهادئةَ فورَدخولي المنزلِ تعني أنَّ يومي كان سيئًا كئيبًا بر ائحةِ الموتِ والرَّحيلِ، وهكذا أنتِ، هي وحدَها تعرفُ أنَّ تلكَ الابتسامةَ الخجولةَ حُبٌّ وتادوٍ وشفاءٌ، وهكذا أنتِ، وأنّ تلك اللَّمعةَ فراقٌ وفقدٌ و انتحابٌ ، وأنّ اللامبالاةَ اشتياقٌ ولوعةٌ ولهفةٌ وحنينٌ ، وأنّ رحيلي يعني صمتًا و انطفاءً ونسيانًا بذاكرة اللَّيالي والأيامِ، أمّي الوحيدةُ التّي تخافُ من نفسي علي نفسي، تخافُ سكوتي، تخافُ شرودي، وهكذا أنتِ، هي الوحيدةُ التّي تكونُ على استعدادٍ بأن تحرقَ نفسها لكي تنيرَ دربي، وهكذا أنتِ، هي الوحيدةُ التّي شهدت انكساراتي، هزائمي، ونجاحاتي، وهكذا أنتِ، هي

الوحيدةُ التِّي تعرفُ أنَّ الطَّريقَ لم تكن سهلةً، لم تكن سهلةً أبدًا، وهكذا أنتِ، وكأنّها أبت بعد رحيلها أن تتركني وحيدًا، فكنتِ أنتِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي ونبضَ قلبي ومهجتي، حديثُكَ لم يكن عن أمِّكَ وحدها، بل عن ذلكَ المعنى النادرِ الذي يمنحُ الإنسانَ الأمانَ في هذا العالمِ المُزدحمِ بالخوفِ والوحدةِ والخذلانِ، أتعلمُ يا حبيبي ؟

إنَّ الحبَّ في بداياتهِ يُبهرُنا بالانجذابِ، ويُدهشُنا بالشَّغفِ، لكنَّه لا يصيرُ حقيقةً كاملةً إلَّا حين يتَحوَّلُ إلى بصيرةٍ ترى ما لا يُقالُ، وتَفهمُ ما لا يُشرحُ، وتسمعُ ما يعجزُ الصَّوتُ عن البَوْحُ به.

أمُّكَ كانتْ تقرأُ حزنَكَ قبلَ أن يَتَحوَّلَ إلى كلماتٍ، تُدركُ ارتجافَ روحكَ خلفَ صمتِكَ والأنينِ، لم تكنْ تفعلُ ذلكَ لأنَّها تحفظُ تفاصيلَ حياتكَ، بل لأنَّها كانت تُحبُّكَ بما يكفي لتسكنَ في أعماقٍ أعماقكَ، و أنا حبيبي، لا أطمحُ أن أكونَ بديلًا عنها، فالأمُّ وطنٌ لا يتكرَّر، ومعجزةٌ لا تُعاد، لكنَّني أرجو أن أكونَ الامتدادَ الحنونَ لذلكَ الدِّفءِ الذي تركتهُ في قلبكَ قبل

رحيلِها، اليدَ التِّي تلتقطُ انكساراتِكَ حين تتعبُ من حملِها وحدكَ، والعينَ التي ترى في ابتسامتكَ ما وراءَ ابتسامتكَ، وفي صمتكَ ما وراءَ صمتكَ .

استوعبتُكَ يا رَجُلي استيعابَ العاشقِ لغةَ البحرِ وأسرارِ وشْوَشَتِه وخفايا حديثِه ونجواه ؛ رأيتُ داخلكَ الذي تحاولُ عبثًا إخفاء أوجاعه، وعكسَ صورةٍ مغايرةٍ لما تعانيه وتحترق به، رأيتُ صمتَكَ وتنائيكَ قليلًا ليس هربًا مِنِّي، بل هروبًا جامحًا إلى نفسكِ المُثْرعةِ بأوجاعها وآلامها، وضحكتكَ، تلكَ التِّي أحيانًا لا تكونُ فرحًا وحبورًا، بل محاولةً نبيلةً لإخفاءِ وجعٍ لا تريدُ أن تُثقِلَ به أحدًا، عرفتُ خفايا قلبكَ وتفاصيلَه التي تجيدُ تضليلَ الجميع عنها، رغم كلِّ ما مرَّبك، ما يزالُ يحملُ قلبُكَ طيبةَ طفلٍ يرفضُ أن يتلوَّثَ بالقسوةَ مهما نالت منه الحياةُ .

آهٍ حبيبي، " وكأنَّها أبت بعد رحيلها أن تتركني وحيدًا، فكنتِ أنتِ . "، أوجعت قلبي وأشعلتَ مدامعي، ليس لأنَّك شبَّهتني بها، بل لأنَّني شعرتُ أنَّ القدرَ منحني شرفَ أن أكونَ ملاذًا لرجلٍ أعطى الحياةَ كثيرًا فتعبَ منها كثيرًا، أنا نافذتُكَ حين تضيقُ بك الدُّنيا بظلمتِها وقسوةِ سجَّانِيها،

أنا نبعُ الطمأنينة لكَ حين تتكاثرُ عليكَ لمخاوفُ حولكَ وتنالُ منكَ الظُّنون، فلا تخفْ من صمتِكَ، سأداويه، ولا من شرودِكَ، سأرافقه، ولا من انكساراتِكَ، سأجمعُ شظاياها معكَ، ولا من الطَّريقِ مهما اشتدَّت وعورتها، فما كان لحبّنا أن نمشي بالدُّروبِ السَّهلةِ معًا، بل أن يبقى أحدُنا مُمسكًا بيدِ الآخرِ حين تُظلمُ كلُّ الدُّروبِ والطُّرقات .

قريبةٌ أنا حبيبي من روحكَ كما يُجاورُ ضوءُ الفجر معالمَ الحرّيةِ والخلاصِ، يكفيني يا رَجُلِي وسَيّدي وقَوَّامِي وموطني أن تبقى أنتَ، بكلِّ ما فيكَ من جمالٍ ووجعٍ وأملٍ وحنينٍ، أحبُّكَ لأنَّكَ أنتَ، ولأنَّ قلبكَ الذي ما زال يشتاقُ إلى أمِّهِ بهذا الوفاءِ العظيمِ، هو ذاتُ القلبِ الذي أحبَّني بكلِّ هذا الصِّدقِ النَّادروالإخلاص الذي غادردنيا بني الإنسانِ، أحبُّك يا أغلى من روحي ودمي .

قراءةٌ في " وهكذا أنْتِ " .

لا أدري؟ هل أحببتُ هذا النَّصَ لأنَّه مكتوبٌ بإتقانٍ، أم لأنَّه مرَّ على الأماكن التي أخفيها في قلبي منذُ سنواتٍ؟ أشعر أنَّني لم أقرأْ حروفًا، بل قرأتُ إنسانًا يبحثُ عن حِضنٍ لا يضطرُّ فيه إلى شرحِ وجعِه، ولهذا أحببتُه، لأنَّني أعرفُ هذا الشُّعورَ، أعرفُ معنى أن تتعبَ من تفسيرِ صمتِكَ، ومن تبريرِ دمعتكَ، ومن إخفاءِ انكسارِكَ حتى عمَّن يحبُّكَ، شدَّني النَّصُ لأنَّه لم يتحدَّثْ عن الحبِّ الذي يُقالُ، بل عن الحبِّ الذي يرى، الحبِّ الذي يقرأُ انطفاءكَ قبلَ أن يقرأَ كلامَكَ، الحبِّ الذي يخافُ عليكَ من نفسكَ، قبلَ أن يخافَ عليكَ من العالمِ، وهنا انكسرتُ، لأنَّني أدركتُ أنَّ الإنسانَ لا يبحثُ في آخرِ المطافِ عن معجزةٍ، بل يبحثُ عمَّن إذا نَظرَ إليه قالَ له" : أعرفُ، لا تَتْعبْ في الشَّرحِ "، وأوجعني أكثرَ قولُه : " وكأنَّها أبتْ بعد رحيلِها أن تتركني وحيدًا، فكنتِ أنتِ "، لأنَّ بعضَ القلوبِ لا تطلبُ بديلًا لأحدٍ، إنّما تطلبُ امتدادًا لذلك الأمانِ الذي رحلَ، ولم يرحلْ أثرُه، وربما لهذا أحببتُ النَّصَ كلَّه، لأنَّه أيقظَ داخلي

سؤالًا ظلَّ صامتًا طويلًا؛ كم منَّا يعيشُ عمرَه كلَّه، وهو لا يبحثُ عن الحبِّ، بل يبحثُ عن إنسانٍ يفهمه قبل أن يتكلَّمَ، ويشعرُ به قبل أن ينكسرَ، ويبقى معه بعد أن يخذله الجميع ! سلامٌ على كلِّ نصٍّ لا يُقرأُ بالعينِ، بل يُبكي القلبَ .

الشَّاعرةُ العراقيةُ : بنين فراس .

محرابُ عشقٍ .

يا مَن جعلتَ من الحرفِ مِحرابَ عشقٍ، ومن " الرَّاء " اسمًا تُقام له الصلواتُ، كتبتَ فكان المدادُ نبضًا، وكان السَّطرُ وطنًا لا يعرفُ الشتاتَ، أيُّها الأديبُ العاشقُ، حين يُناديكَ القلبُ كاتبًا تُصبحُ اللُّغَةُ عاشقةً بين يديكَ، جمعتَ العقلَ والقلبَ بكفّ " راء " فأيُّ سحرٍ هذا الذي يَجري إليكَ؟

ويا سَيِّدةَ الرَّاء : لولاكِ ما استقامَ للبوحِ معنى، ولا اهتدتْ أقدامُه بعد ضياعٍ ، كنتِ البدايةَ التي لا قبلَها عُمرٌ والنهايةَ التي لا بعدَها وداعٍ، أمّا أنتَ أيُّها الأديبُ العاشقُ ؛ في كتابكِ " إلى السيدة راء " لم تكتبْ حروفًا، بل سكبتَ حياةً، جعلتَ من اسمها قصيدةً خالدةً، ومن حبّها دليلاً على أنَّ الحبَّ نجاةً، فطوبى لقلمٍ أنتَ حاملُه، وطوبى لقلبٍ أنتِ ساكنتِه، ودام هذا الحبُّ دستورَوفاءٍ

تتلوهُ الأرواحُ إذا اشتاقتْ جنَّتَه .

الشَّاعرةُ العراقيةُ : بنين فراس .

فهرس

إهداء..... ٥
مقدمةٌ لا بدَّ منها..... ٧
المُوقّعُ أدنَاه..... ٩
أيَّتُها الرَّقيقةُ الغاليةُ ١١
قراءةٌ في " أيَّتُها الرَّقيقةُ الغاليةُ "..... ١٣
قمرُ الزَّمانِ ١٥
طَاغِيةُ الأُنُوثَةِ ١٨
قراءة في " طاغية الأنوثة "..... ٢٠
أينَ وتَبِعَاتُها ٢٢
الَّتِي جَمَّلَتْ حَياتِي ٢٤
علَّمَنِي حبُّكِ ٢٦
وأحبُّها وتُحِبُّني ٢٩
أَحْبَبْتُ مُجْرِمًا..... ٣١
مَجْنُونٌ آخَرُ..... ٣٣

في كُلّياتِ العِشقِ والهوى ٣٥
صباحُ حَبِيبتِي عسلٌ وسكرٌ..... ٣٧
لا تَبْحَثُوا عن الحُبِّ ٣٩
حَيَاةٌ ونَجَاة..... ٤١
١- قِراءةٌ في " حياةٌ ونجاةٌ " ٤٣
٢- قراءةٌ في " حياةٌ ونجاةٌ " ٤٥
لقاءُ الرَّائِعينَ ٤٦
لا تُقَارَنِينَ ٤٨
على هيئةِ إنسَانٍ ٥٠
وأغَازِلُ بكِ نُجُومَ اللَّيلِ ٥٢
قراءةٌ في " وأغازلُ بكِ نجومَ اللّيلِ " ٥٣
يُكْمِلُ نَقْصَنَا ٥٥
كلُّ عيدٍ ونحن عاشقان ٥٧
بجانِبكِ حَبِيبَتِي ٥٩
شَخْصٌ يُشبِهُنِي ٦١
بِلا كُلْفَةٍ ٦٣

كلُّ عيدٍ و أنتِ بِحِضْنِي ٦٦
مَدِينَةُ الحُبِّ ٦٨
لم يَعُدْ مُتاحًا ٧٠
أنتِ عِيدِي ٧٢
قراءةٌ في " أنتِ عِيدِي " ٧٣
لِمَن يُشْبِهون الصَّبَاحَ ٧٥
حُلْوَتِي وطِفْلَتِي ٧٦
كَيْفَ أنْتَ ؟..... ٧٧
هَكَذَا نحن حَبِيبَتِي ٧٨
أنتِ الحَدِيثُ ٧٩
ثلاثيةُ الاكتفاءِ ٨٠
ويفوزُباللَّذَاتِ كلُّ مغامرٍ..... ٨١
رَفِيقُ القَلْبِ لو يَحْكِي ٨٣
وحين أَنْظُرُ إلى عَيْنَيْكِ ٨٥
دونَ أن تَتَجَمَّلَ ٨٧
كالفَرَاشَةِ لا تؤذي أحدًا ٨٩

عُيوبُ حَبِيبَتِي ٩٢
مع مَن يُحِبُّ ٩٤
على غَيْرِهِم حرامٌ ٩٦
قراءةٌ في " على غيرهم حرامٌ " ٩٨
صَبَاحِي أنْتِ ١٠٠
شَبِيهُ الرُّوحِ ١٠٢
لَيْسَ عَيْبًا ١٠٤
لا يَلْتَقِيَانِ في البِدَاياتِ ١٠٦
١- قراءةٌ في " لا يَلْتَقِيَانِ في البِدَاياتِ " ١٠٩
٢- قراءة في " لا يلتقيانِ في البداياتِ " ١١١
بَيْنَ يَدَيْكِ ١١٣
لم تَكُونِي صُدْفَةً ١١٥
للأقدارِ الأخيرةِ قُدْسِيَّتُها ١١٧
تَمِيلُ لِمَنْ يُشبِهُهَا ١٢٠
سَلامًا عَلَيْكِ يا سِتَّ النِّسَاءِ ١٢٢
وحِين اسْتَأمَنَنِي أبوكِ ١٢٣

مرَّةٌ واحدةٌ بالعُمرِ..... ١٢٦
لِمَ تراني بهذا الكَمَالِ؟..... ١٢٩
أنْتِ في دَمِي ١٣١
مُعْجِزَةٌ يتمَنّاها الجَميعُ..... ١٣٤
ابْحَثُوا عن السَّنَدِ ١٣٦
وفي رَمَضَانَ أُحُبُّكِ ١٣٩
الرَّسَائِلُ الصَّبَاحِيَّةُ ١٤١
الاسْتِثْنَاءُ الوَحِيدُ ١٤٢
شبيهُ الرُّوحِ ١٤٤
لم تكنْ صُدْفَةً ١٤٦
الذين يُزهِرونَ قلوبَنا ١٤٧
ليسَ وَدَاعًا، بل إلى اللِّقَاءِ ١٤٨
غَنِيٌّ عَمَّن سواه ١٥٠
مَن بِنَا يَلِيقُ ١٥١
لا يَخْضَعُ لمَنْطِقٍ أو تَفْسِيرٍ..... ١٥٣
الحياةُ قرارٌ..... ١٥٥

كما أنتَ ١٥٧
يومٌ واحدٌ دونَ حِضْنِكِ ١٥٩
البَادِئُ أجْمَلُ، وكلاهُما جَمِيلٌ ١٦١
لأنَّها الوحيدةُ ١٦٣
حَبِيبَتِي وحُورَعَيْنِي ١٦٥
لَيْسَ الخَبرُكالمعاينةِ ١٦٧
لا مزيدَ من الجهدِ ١٦٩
بعضُ الرَّغباتِ تموتُ ١٧١
مَقَامَاتُ العِشْقِ ١٧٣
الارتِبَاكُ الأوَّلُ ١٧٥
قَدّرَالإلهُ ١٧٨
وفي التَّاسعِ من ديسمبرَأحبُّكِ ١٨٢
وهكذا أنْتِ ١٨٤
قراءةٌ في " وهكذا أنْتِ " ١٨٨
محرابُ عشقٍ ١٩٠